

الباب الأول

في الجواب عن الأسئلة على وجه
الاختصار دون الإكثار في الانتصار

obeikandi.com

في الجواب عن الأسئلة على وجه الاختصار دون الإكثار في الاختصار

فإن النصارى أمة عمياء وطائفة جهلاء ، قد غلب عليهم التقليد ، وتجنّبوا محجة النظر السديد ، حتى لا يبحثوا عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم ، ولا يتأملوا ما يعتمده في دينهم أكابرهم وطغاتهم ، ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده ، وناهيك من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمه ، وأن أمه قد ولدت خالقها .

ومن تلك الغفلات ما قد حكى المسيحي في تاريخه وغيره ، أن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما يعتقدونه في دينهم عشر مزارات بالقسطنطينية والأسكندرية^(١) ، ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مرة ، وكفروا من يعتقده وأثبتوا غيره ، فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفتهم لا لرسالات ربهم .

ومنها أنهم في بلاد الروم بأسرها — كبرشلونة وبركونة ومرسيلية وفرنسة — وسائر مدن الإفرنج لهم ثلاثة أيام في السنة معلومة ، يقول فيها الأساقفة للعامّة : « سرقت اليهود دينكم » ، واليهود ساكنون معهم في البلاد ، فتنتقل العامة وأهل البلد بمجملتهم يطلبون اليهود ، فمن وجدوه قتلوه ، وأى دار قدروا عليها نهبوا ، واليهود تعلم تلك الأيام فتحصن وتستعد لها فإذا فرغت تلك الأيام خرج الأسقف الكبير إلى ظاهر المدينة ،

(١) قلت — أى المحقق —: تناول الشيخ محمد أبو زهرة — رحمه الله — أنواع هذه الاجتماعات وتاريخها وأسباب انعقاد كل منها وقراراتها في كتابه المسمى « محاضرات في النصرانية » وقد بحث فيه الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وكثيرهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم (نشرت رئاسة الإفتاء والإرشاد بالسعودية الطبعة الرابعة للكتاب سنة ١٤٠٤ هـ) ، وكان أول اجتماع في نيقية عام ٣٨٥ م ثم كان لأكابرهم سنة ٣٨١ ميلادية للاجتماع الأول بالقسطنطينية ، وهكذا استمرت قراراتهم واجتماعاتهم وتعددت ، فكان الاجتماع العاشر في روما سنة ١١٣٩ م . وانتهت تلك التجمعات بالجمع العشرين المنعقد في روما سنة ١٨٦٩ وقد أثيرا فيه العصمة للبابا ، وتفصيل ذلك في كتاب الشيخ أبو زهرة فليراجع هنالك . كما أن الإمام ابن القيم الجوزية تناول بعضاً من مجتمعاتهم في إغالة اللهبان [٢٨٠/٢ — ٢٨٣] ، وقد أشار — رحمه الله — إلى أنهم اجتمعوا عدة مجامع تريد حل ثمانين مجمعا [٢٧١/٢] .

فدخل إلى سرداب هناك ، ففقد ساعة ثم خرج بْحَقِّ عظيم محاط بالحلى والطيب ، يزعم أن الدين فيه ويقول لهم : « حلوا عن اليهود ، فقد وجدت دينكم » ، فيتركون اليهود ويعاشرونهم بالمعروف إلى تلك الأيام بعينها ، عاد الحال بحاله ، وهذا مما أطبق عليه الفرنج لا ينكرونه أبداً .

ومما أطبق عليه النصارى فى أحكلمهم فى كرسى مملكتم بعكاً^(١) أن أحدهم إذا ادعى على آخر قتلاً حلقوا رأس الاثنين ، ودفعوا لكل واحد منهما باسليقاً^(٢) وقرناً محدد الطرف ، وخرج مع نائب ولى الأبر إلى مدينة « تورا » ، يجتهد كل واحد منهما أن يضرب صاحبه بالباسليق فى قرعته ، فمن ظفر بصاحبه فصرعه برك على صدره وغرس ذلك القرن فى عينه ، ثم يأخذها ولى الأمر ويعتقدون أن المغلوب أبداً هو المبطل الظالم ، وأن الغالب هو الصادق فيأخذ الراهب ذلك المغلوب ، ويقرره بذنوبه ، ويقول له : أى شىء أقررت به من ذنوبك غفر لك ، وأى شىء أخفيت عاقبك السيد المسيح عليه ، فيجتهد ذلك الرجل بقلة عقله أن يبدى له جميع عوراته وزلاته ، ثم يؤمر به ويُقتل ، فانظر هذه الأحكام ، هل تتصور أن تجرى بين قوم لهم من العقل شىء ويستمر ذلك مع الأيام ؟ ، ولا يخطر ببالهم أن المظلوم قد تضعف قوته عند ملاقاته الظالم فتجتمع عليه ظلمات وغبائن ، ثم إن هذه الأحكام لا يجدونها فى الإنجيل ولا فى التوراة ، بل هم على قاعدتهم فى اختراع دينهم برأيهم ، كما حكاه المسيحى وغيره من المؤرخين عنهم .

ومما أطبق عليه النصارى : أن الأسقف إذا لم يوافق شخص على هواه ، حرم عليه ، ومعنى حرم عليه : أن الرب تعالى غضب عليه ، وأن الخلائق يمتنع عليهم بعد ذلك معاشرته وموالاته ، بل يتعين عليهم هجرانه وتركه ، ويخطر ببالهم أن تلك الحالة إذا دامت عليه تنتزع منه البركة وتموت دوابه ويهلك رزقه ، وإن مات فيها ذهب إلى السخبط الدائم والعذاب المقيم .

ويتخيلون أن الأساقفة قد صاروا فى الأرض يتصرفون فيها فى العباد تصرف رب الأرباب ، وأن بيدهم السعادة والشقاء ، مع أنهم أقل من قليل وأحقر من ذليل ، يبيت الواحد من الأساقفة وعذرتة على فخذه طول عمره ، يأكل الرشا فى الأحكام ويتغذى بالحرام ، وهو فى الجهالة أشد من الأنعام ، لا يفرق بين كوعه وبوعه^(٣) ولا بين هره

(٢) آلة من آلات الحرب والقتال .

(١) عكا : مدينة بفسطين . .

(٣) الكوع : طرف الزند الذى على الإبهام ، والبوع : عظم على إبهام الرجل والجمع أبواع (المعجم الوسيط) والمعنى أنه فاقد التمييز .

وبره ، ألكن اللسان ، أغلف القلب سىء السمع ، مشكل الرأى ، بمعزل عن الاشتغال بالفضائل ناء عن رياضيات العلوم ، فهم وأتباعهم لا يزالون فى هذه الغفلة مستمرين على هذه النومه ، حتى يأتى أحدهم الموت فيستيقظ ، فيجد نفسه لا مع بنى آدم فى أتباع الحق ، ولا مع البهائم فى الراحة من التكليف فيعض كفيه ندما ، وتدوب نفسه أسفاً ، نسال الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

كشف الستار عن الذهب الأبرار

ولما علم حُذاقهم^(١) أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه ، ولا أصل يرجع إليه ، جمعوا عقول العامة بتخييلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها فى الكنائس والمزارات .

(أ) تمثال يبكى إذا قرىء الإنجيل !!!

فمن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة إذا قرىء عليها الإنجيل تبكى وتجرى دموعها ، يشاهدها الخاص والعام ، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل .
تفسير ذلك :

ويكون لها مجارى رقيقة فى أجوافها من ورائها متصلة بزق ممتلئة بالماء ، يعصره بعض الشماسة^(٢) فيفر الماء فى المجارى ويتصل بعيون الأصنام .

(ب) تمثال يخرج اللبن من ثديه :

وكذلك يصنعون أصناماً يخرج اللبن من ثديها عند قراءة الإنجيل ، وذلك بصقلية وغيرها^(٣) .

(ج) أشياء معلقة فى الهواء لا يمسكها شىء !!

ومن ذلك الأصنام من حديد وقناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض ،

(١) الحاذق فى شىء : أى الماهر فيه .

(٢) الشَّمَّاس : أول مرتبة من مراتب رجال الدين عند النصارى يليه القسيس ثم الأسقف ثم المطران ثم المطرير ثم البابا .

(٣) انظر إغاثة اللهفان [٢٨٩/٢] [تحقيق محمد حامد الفقى] .

فلا يمس شيء منها ولا يمسها شيء ، ويقولون : إن ذلك بسبب بركة ذلك المكان ، وأنه برهان على عظمة الدين ، فإن ذلك لم يوجد لغيرهم من الملل !!

تفسير ذلك :

ويكون سبب ذلك حجارة من مغناطيس عملت في ست جهات : فوق الصنم وتحتة ويمينه ويساره وخلفه وأمامه ، فيجذبه كل حجر إلى جهته وليس البعض أولى من البعض فيقع التمانع فيقف الحديد في الوسط ، ولذلك لما دخل إليه بعض رسل المسلمين أمر بهدم ما حوله من البنيان فسقط ، وذلك بالقسطنطينية كرسى مملكتهم ومجتمع عظمائهم وعقلائهم ، وهذا حالهم .

(د) قنديل يشتعل بلا نار !!

ومن ذلك النور الذى ينزل بالقمامة^(١) فى البيت المقدس على قنديل معلق هناك ، فيشرق من غير اتصال نار به فى رأى العين ، فيوهمون العامة أن الأنوار تنزل على ذلك الموضع من قبل الله تعالى ؛ لأنه موضع قبر المسيح عندهم ، الذى دفن فيه وصعد منه ، وهو شيء مشاهد بالحس .

تفسير ذلك :

وأصله أن النفط إذا دُبِّر على كيفية مخصوصة ومُسَّح به شريط رقيق فى غاية الرقة من الحديد ، ومُدَّ ذلك الشريط إلى القنديل ، وعُمل فى آخره فتيلة ؛ فإن النار إذا مُسَّ بها أول ذلك الشريط فإنها تجرى مع ذلك الشريط بسبب ذلك النفط الملاصق له إلى أن ينتهى إلى آخره ، فيشعل ذلك الجسم الذى للفتيلة من القطن أو غيره ، ولذلك يراهن النفطيون على أنهم يقعدون فى صدر بيت ويشعلون سراجاً فى طاق فى الجهة الأخرى من غير مباشرة ، فإذا راهنه أحد مد شريطاً مع طول الحائط بدائر البيت متصلاً بذلك السراج ، ويمسه بالنار فتسرى النار إلى السراج ولا يشعر الناس الجالسون من أين اتقد السراج ، وكذلك النصرارى اتخذوا شريطاً رقيقاً لهذا القنديل ، يشعلونه فى أعلى القبة التى فى المكان فيشتعل القنديل من غير نار مشاهدة .

(١) يزعم اليهود أنهم قتلوا المسيح — عليه السلام — بعد صلبه ، « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ، وقد قبلوا شيئاً للمسيح هو « يودا » وظنوا أنه المسيح ، فدفنوه فى مزبلة للأوساخ والأقذار تحقيراً وإهانة للمصلوب ، ويظنون أن المصلوب هو عيسى — عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام — وعلى اليهود لعائن الله وملائكته والناس أجمعين .

وقد اطلع على ذلك جماعة ، منهم الملك المعظم أخو الملك الكامل وأراد أن يمنح ذلك ، فقالوا له : إنك يحصل لك بهذا جملة من المال فإن أبطلتها بطل ولم يحصل لك شيء ، فتركهم على حالهم ، وكذلك الأمراء المتولون لتلك الجهة يطلعون على ذلك ويخبرون به .

وهذه الكيفية مذكورة في كتب النقط والرماية رأيتها أنا مع معزيات صناعات هذا الشأن^(١) .

(هـ) انهم يصفحون يد الله !!!

ومن ذلك : أن لهم كنيسة كانوا يزعمون أن يد الله تعالى تظهر من الهيكل لها يوم معلوم من السنة ، يصفحه الناس !!

كشف الحيلة :

فدخل إليها بعض ملوكهم فصفح اليد ومسكها مسكاً شديداً وقال : والله لا تركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها ، فقال له الأساقفة : أما تخشى الرب ، أخرجت من دين النصرانية ؟؟ ، فأبى أن يتركها بكثرة تهويلهم حتى يرى وجه صاحب اليد ، فلما أعياهم أمره أخبروه أنها يد راهب منهم ، فقتله ومنعهم من العود لذلك فلم يعودوا .

وبالجملة : الإسهاب في هذا الباب يضيع الزمان لكثرتة ، وإنما أردت التنبيه على أن ما هم عليه من الضلال نوع من الشبهة^(٢) وأصناف من الحيلة لما عدموا الحق الذى يصدع القلوب ، وتقبله العقول ، وأنا أنبهك على أن القوم ليس لهم حظ من النظر القويم ، ولا العقل المستقيم ، بل وجدوا آباءهم على الضلال فهم على آثارهم يهرعون ، قد غمرهم الجهل وعمهم العمى ، فلذلك لم تنهض العزيمة إلى بسط القول في الحديث معهم ، فإن مخاطبة البهائم من السفه ، بل اقتصرْتُ على بيان غلط القائل بهذه الرسالة

(١) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية نحواً من هذه الألاعيب في إهالة اللهبان [٢٨٨/٢ - ٢٨٩] ، وفي كتاب الأعلام للزركلي [٩٤/١ - ٩٥] اتحاداً بأن الإمام القفال كان من البارعين في عمل التماثيل المصنوعة في الآلات الفلكية ، وذكر نحواً منها .

(٢) سمعت : أى مهر في الاحتمال ، وأرى الشيء على غير حقيقته معتمداً على خداع الخواص ، وزين الباطل لإيهام أنه حق . وهي مثل الشبهة .

ومعارضتها بالأسئلة والنصوص من كتبهم ، لعل الله تعالى يجعل ذلك تبييناً لبعض الغافلين فيستيقظ لرؤية هذه المساوئ القبيحة .

مواجهة المؤلف لهم :

وأما سلوك طريق الأنظار العقلية وبيان المدارك القطعية فليس القوم أهلاً لذلك ، ولقد اجتمع بي بعض أعيانهم المبرز في حلبة سباقهم ليتحدث في أمر دين النصرانية ، فقلت — بحضرة جماعة من العدول —: أنا لا أكلف النصراني إقامة دليل على صحة دينهم !! ، بل أطالبهم كلهم بأن يصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل ، فإذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته ، فحاول هو نفسه تصوير دينهم فعجز عنه ، قال : ما كلفنا بالتصوير بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم ما لا يلزمنا وما ليس من ديننا ، فجنح إلى ما قدمته لك من السكون إلى التقليد وعدم النظر فيما يصح ويفيد .

فقلت له : الاعتقاد لا بد فيه من أن تثبت شيئاً لشيء أو تنفيه عنه ، فهو مركب من تصورين : تصور المحكوم عليه وتصور المحكوم به ، وأنتم — على ما قلت — مكلفون بالاعتقاد ، ومن كُلف بمركب كُلف بمفرداته ، فمتى كُلف بالاعتقاد كُلف بالتصوير ، فأنتم حينئذ مكلفون بالتصوير فصوّر لي دينك؟! ، فانقطع ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ولزمه^(١) السؤال من قوله .

فقال : أمهلني ثلاثة أيام حتى أجمع بابن العسال^(٢) ، وهو كان مشهوراً عندهم بالفضيلة على زعمه — فلم أره بعد ذلك .

فإنظر إلى قوم عاجزين عن تصوير دينهم فضلاً عن إقامة الدليل عليه ، فكيف يليق بالعاقل أن يؤهلهم للحديث معهم !!! ، فلذلك سلكت مسلك الاقتصاد في بيان هذه الكلمات .

(١) يقال : لزمه أو التزمه أي أعابه .

(٢) ترجم له الأستاذ عمر رضا كحالة في كتاب معجم المؤلفين [٢٤٤/٢ ، ١٦٣/٨] ط الترق بدمشق

[١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م] .

الشبهة التي لوردها للنصارى على المسلمين

الشبهة الأولى:

فمنها: أنه قال: إن محمداً — ﷺ — لم يُبعث إلينا* فلا يجب علينا اتباعه، وإنما قلنا إنه لم يرسل إلينا لقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾^(١)، ولقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾^(٢)، ولقوله تعالى: ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم﴾^(٣)، ولقوله تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾^(٤)، ولقوله تعالى: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾^(٥)، ولقوله تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾^(٦)، ولقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾^(٧)، ولا يلزمنا إلا من جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغاتنا.

الجواب على الشبهة الأولى من وجوه:

أحدها: أن الحكمة فى أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم ليكون ذلك أبلغ فى الفهم عنه ومنه، وهو أيضاً يكون أقرب لفهمه عنهم جميع مقاصدهم فى الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة، وإيضاح البراهين القاطعة، فإن مقصود الرسالة فى أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب.

وإنما أمر جماعة من الرسل — عليهم السلام — بالقتال بعد اليأس من النفع بالبيان فإذا تقررت نبوة النبي فى قومه قامت الحججة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه — أكثر من غيرهم — إذا

(*) أى لم يُبعث للنصارى ولم يكلفوا باتباعه إنما بعث للعرب فقط.

(١) يوسف: ٢

(٢) المائدة: ١٠٩

(٣) المائدة: ١٠٩

(٤) المائدة: ١٠٩

(٥) المائدة: ١٠٩

(٦) المائدة: ١٠٩

(٧) القصص: ٤٦، السجدة: ٣

سَلَّمُوا ووافقوا فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق ، فهذه هي الحكمة في إرسال الرسول بلسان قومه ومن قومه ، لا أن المقصود أن لا يتعدى برسالته لغير قومه .

وفرق بين قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾^(١) وبين قوله : وما أرسلنا من رسول إلا لقومه ، فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول ، بل لا فرق بين قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾^(٢) وبين قوله : وما أرسلنا من رسول إلا مكلفاً بهداية قومه ، فكما أن الثاني لا إشعار له بأنه لم يكلف بهداية غيرهم ، فكذلك الأول ... ، فمن لم تكن له معرفة بدلالة الألفاظ ومواقع المخاطبات سَوَى بين المختلفات وقرَّب بين المؤتلفات .

وثانيها : أن التوراة نزلت باللسان العبراني ، والإنجيل بالرومي ، فلو صح ما قاله لكان النصراني كلهم مخطئين في اتباع أحكام الإنجيل فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الرومي اللسان العربي بطريق التعلم ، وأن يكون القبط كلهم والحبشة مخطئين في اتباعهم التوراة والإنجيل ، لأن الفريقين غير عبرانيين أو روميين ، ولو لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط وترجما كما ترجما بالعربي لم يفهم قبطي ولا حبشي ولا رومي شيئاً من التوراة ، ولا قبطي ولا حبشي شيئاً من الإنجيل ، إلا أن يتعلموا ذلك اللسان كما يتعلمون العربي .

وثالثها : أنه إذا سلم أن النبي — ﷺ — رسول لقومه ، ورسول الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصومون من الزلزل مبرعون من الخطل^(٣) ، وهو عليه السلام قد قاتل اليهود ، وبعث إلى الروم ينذرهم^(٤) ، وكتابه — عليه السلام — محفوظ عندهم إلى اليوم في بلاد الروم عند ملكهم يفتخرون به ، وكتب إلى المقوقس بمصر لإندار

(١) إبراهيم : ٤

(٢) إبراهيم : ٤

(٣) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

(٤) كتب النبي — ﷺ — إلى هرقل عظيم الروم ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين ، يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

القبط^(١) ، ولكسرى بفارس^(٢) ، وهو الصادق البر ، كما سلم أنه رسول لقومه فيكون رسولا للجميع ؛ لأن من جملة ما نزل عليه — ﷺ — : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾^(٣) ، فصرح بالتعميم واندفعت شبهة من يدعى التخصيص .

فإن كان النصراني لا يعتقدون أصل الرسالة — لا لقومه ولا لغيره — فيقولون أوضحوا لنا صدق دعواكم ، ولا يقولون كتابكم^(*) يقتضى تخصيص الرسالة .

وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ﴾^(٤) لا يقتضى أنه لم يبعث لغيرهم ، فإن الملك العظيم إذا قال : بعثت إلى مصر رسولا من أهلها لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم ، ولا أنه لا يأمر قوماً آخرين بغير تلك الرسالة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ﴾^(٥) ، ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم ، بل لما كان الذى يتلقى الوحي أولاً هم العرب ؛ كان التنبيه عليه بالمنة وعليهم بالهداية أولى من غيرهم .

وإذا قال السيد لعبده : بعثتك لتشتري ثوباً ، لا ينافى أنه أمره بشراء الطعام ، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه ، وسكت عن الطعام لأن المقصد الآن لا يتعلق به ، وما زالت العقلاء فى مخاطباتهم يتكلمون فيما يوجد سببه ، ويسكتون عما لم يتعين سببه ، وإن كان المذكور والمسكوت عنه واقعين فكذلك الرسالة عامة ، ولما كان

(١) كتب النبى — ﷺ — إلى المقوقس عظيم القبط بمصر يقول فيه ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يوتلك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ، بأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، ا . هـ .

(٢) وكتب إلى كسرى عظيم الفرس ما لفظه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن آيت فعليك إثم الجوس ، ا . هـ .

[انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٦٠/٣ — ٦٣]

(٥) يس : ٦ .

(٤) الجمعة : ٢ .

(٣) سبأ : ٢٨ . (*) أى القرآن الكريم .

المقصود إظهار المنة على العزب **حُصِّوا** بالذكر ، ولما كان أيضاً المقصود تنبيه بنى إسرائيل وإرشادهم خصوا بالذكر ، وخصصت كل فرقة من اليهود والنصارى بالذكر ، ولم يذكر معها غيرها في القرآن في تلك الآيات المتعلقة بهم ، وهذا هو شأن الخطاب أبداً ، فلا يغتر جاهل بأن ذكر « زيد » بالحكم يقتضى نفيه عن « عمرو » ، كذلك قوله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(١) ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم ، كما أنه إذا قال القائل لغيره : أدب ولدك ، لا يدل أنه أراد ألا يؤدب غلامه ، بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم في هذا المقام تأديب الولد ، لأن القصد مختص به ، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد يقول له : وغلامك أيضاً أدبه ، وإنما بدأت بالولد لاهتمامي به ، ولا يقول عاقل إن كلامه الثاني مناقض للأول .

وكذلك قرابته — عليه السلام — هم أولى الناس بيره — عليه السلام — وإحسانه وإنقاذه [لهم] من الهلكات ، فخصهم بالذكر كذلك ، لا أن غيرهم غير مراد كما ذكرنا في صورة الولد والعبد .

وبالجملة : فهذه الألفاظ لغتنا ، ونحن أعلم بها ، وإذا كان — عليه السلام — هو المتكلم بها ولم يفهم تخصيص الرسالة ولا إرادته ، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم ، والعرب لم تفهم ذلك وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك ولا فهموه^(٢) ، ولو فهموه^(٣) لأقاموا به الحجة عليه ، ونحن أيضاً لم نفهم ذلك ، فما فهمه إلا هذا النصراني الذي ساء سمعاً وفهماً فساء إجابةً .

فمن أراد الهدى فطريقه واضحة ، فليأخذ سبب النجاة قبل الموت ، ويستدرك للسعادة قبل الفوت ، فما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار ، وليس عند العاقل أهم من سعادة نفسه ، فليحصلها قبل حلول رمسه^(٤) والله تعالى هو المعين على الخير كله .

الشبهة الثانية :

أنه قال : « إن القرآن الكريم ورد بتعظيم عيسى — عليه السلام — ، وبتعظيم أمه مريم — رضى الله عنها — ، وهذا هو رأينا واعتقادنا فيما فالدنيان واحد فلا ينكر المسلمون علينا » .

(١) الشعراء — ٢١٤ .

(٢) ، (٣) أى لم يدعوا ولم يفهموا أن رسالة النبي خاصة لقومه ، ولم يقولوا بذلك .

(٤) الرمس : القبر .

والجواب من وجوه :

أحدهما : تعظيمهما لا نزاع فيه ولم يُكفّر النصارى بالتعظيم ، إنما كُفّرت بنسبة أمور أخرى إليهما لا تليق بجلال الربوبية ولا بدناءة البشرية من : الأبوة ، والبنوة ، والحلول والاتحاد ، واتخاذ الصاحبة والأولاد ، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً ، فهذه مغالطة في قوله : « موافق لاعتقادنا » ، ليس هذا هو الاعتقاد المتنازع فيه ، نعم لو ورد القرآن الكريم بهذه الأمور الفاسدة المتقدم ذكرها — وحاشاه — كان موافقاً لاعتقادهم ، فأين أحد البايين من الآخر .

وثانيها : أنه إذا اعترفه بأن القرآن الكريم ورد بما يعتقد أنه حق فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق ، فإن الباطل لا يؤكد الحق ، بل المؤكد للحق حق جزماً ، فيكون القرآن الكريم حقاً قطعاً ، وهذا هو سبب إسلام كثير من أبحار اليهود ورهبان النصارى ، وهو أنهم اختبروا ما جاء به عليه السلام فوجدوه موافقاً لما يعتقدونه من الحق ، فجزموا بأنه حق ، وأسلموا واتبعوه ، ومازال العقلاء على ذلك يعتبرون كلام المتكلم ، فإن وجدوه على وفق ما يعتقدونه من الحق اتبعوه ؛ وإلا رفضوه .

وثالثها : أن هذا برهان قاطع بالحق على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان فإنه مشتمل على تعظيم جملة الرسل وجميع الكتب المنزلة ، فالمسلم على أمان من جميع الأنبياء — عليهم السلام — على كل تقدير ، أما النصراني فليس على أمان من تكذيب محمد ﷺ — فتعين رجحان الإسلام على غيره ، ولو سلمنا تجويز صحة ما يقوله النصراني من البنوة وغيرها ، يكون المسلم قد اعترف لعيسى — عليه السلام — ولأمه — رضى الله عنها — بالفضل العظيم — والشرف المنيف ، وجهلى بعض أحوالهما — على تقدير تسليم صحة ما ادعاه النصارى — والجهل ببعض فضائل من وجب تعظيمه لا يوجب خطراً ، أما النصراني فإنه منكر لأصل تعظيم النبي محمد ﷺ — ، بل ينسبه للكذب والرذائل والجرأة على سفك الدماء بغير إذن من الله تعالى ، ولا خفاء في أن هذا خطر عظيم ، وكفر كبير ، فيظهر من هذا القطع بنجاة المسلم قطعاً ، ويتعين غيره للضرر والخطر قطعاً ، فليبادر كل عاقل حينئذ للإسلام فيدخل الجنة بسلام .

الشبهة الثالثة :

أنه قال : إن القرآن الكريم ورد بأن عيسى — عليه السلام — روح الله تعالى^(١) وكلمته^(٢) ، وهو اعتقادنا .

الجواب على الشبهة الثالثة :

والجواب من وجوه :

أحدها : أن من المحال أن يكون المراد « الروح » و « الكلمة » على ما تدعيه النصارى ، وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى — عليه السلام — بصفة ، وينادى بها على رؤوس الأشهاد ، ويطبق بها الآفاق ثم يُكفَّر من اعتقد تلك الصفة في عيسى — عليه السلام —!!، ويأمر بقتلهم وقتلهم ، وسفك دمائهم وسبى ذرارهم^(٣) ، وسلب أموالهم ، بل هو بالكفر أولى لأنه يعتقد ذلك مضافاً إلى تكفير غيره والسعى في وجوه ضرره ، وقد اتفقت الملل كلها مؤمنها وكافرها على أنه — عليه الصلاة والسلام — من أكمل الناس في الصفات البشرية خَلْقاً وُحْلُقاً وعقلاً ورأياً ، فإنها أمور محسوسة ، إنما النزاع في الرسالة الربانية ، فكيف يليق به — عليه الصلاة والسلام — أن يأتي بكلام هذا معناه!!؟ ثم يقاتل معتقده ويكفره ، وكذا أصحابه — رضى الله عنهم والفضلاء من الخلفاء من بعده ، فهذا برهان قاطع على أن المراد على غير ما فهمه هذا القائل ، وغير ما تعتقده النصارى .

ثانيها : أن « الروح » اسم للريح الذي بين الخافقين ، يقال لها : ريح وروح لغتان ، وكذلك في الجمع رياح وأرواح ، واسم لجبريل — عليه السلام — وهو المسمى بروح القدس ، والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني^(٤) .
و « الكلمة » اسم للفظة المقيدة من الأصوات ، واسم للخبر من الكلام النفساني ، ولذا يقال :

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) آل عمران : ٤٥ .

(*) الدراري : جمع ذرية وهي نسل الثقلين ، والمراد هنا أسر أولادهم .

(٣) تناول ابن قيم الجوزية مفهوم « الروح » في القرآن الكريم ، وذكر أنها على خمسة أوجه فيه ، هي : الوحي ، والقوة والنبات والنصرة من الله ، وجبريل ، وروح الإنسان ، وعيسى ابن مريم عليه السلام [تفصيل ذلك

في كتاب « الروح » ، ٢٠٨ — ٢١٠ ط مكتبة القرآن تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس] .

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جُمِلَ اللسان على الفؤاد دليلاً

والعالم مطبق على أن نفس الإنسان تحدته بالخير والشر ، وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات ، ولهذا يُقال : هذه الكلمة خط حسن ومكتوبة بالخير . وإذا كانت « الروح » و « الكلمة » لهما معان عديدة فعلى أيهما يحمل هذا اللفظ ؟؟ ، وحُكِمَ النصراني اللفظ على معتقده حكم بمجرد الهوى المحض .

وثالثها : وهو الجواب بحسب الاعتقاد لا بحسب الإلزام — أن معنى الروح المذكورة في القرآن الكريم في حق عيسى — عليه السلام — هو الروح الذي بمعنى النفس المقوم لبدن الإنسان ، ومعنى نفخ الله — تعالى — في عيسى — عليه السلام — من روحه : أنه خلق روحاً نفخها فيه ، فإن جميع أرواح الناس يصدق أنها روح الله^(١) ، وروح كل حيوان هي روح الله تعالى ، فإن الإضافة في لسان العرب تصدق حقيقة بأدنى الملابس ، كقول أحد حاملي الخشبة للآخر : طُرفي مثل طرفك ، وشل طرفك — يريد طرف الخشبة ، فجعله طرفاً للحامل ... ، ويقول : طلع كوكب زيد إذا كان نجم عند طلوعه يسرى بالليل ، ونسبة الكوكب إليه نسبة المقارنة فقط ، فكيف لا يضاف كل روح إلى الله تعالى وهو خالقها ومدبرها في جميع أحوالها !!!؟؟ .

وكذلك يقول بعض الفضلاء لما سُئِلَ عن هذه الآية فقال : نفخ الله — تعالى — في عيسى — عليه السلام — روحاً من أرواحه ، أي جميع أرواح الحيوان أرواحه ، وأما تخصيص عيسى — عليه السلام — بالذكر ؛ فللتنبيه على شرف عيسى — عليه السلام — وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه ، كما قال تعالى : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴿١﴾ و ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ ﴿٢﴾ مع أن الجميع عبيده وإنما التخصيص لبيان منزلة المُخَصَّص .

(١) قلت : وهذا استدلال صحيح ، ومثله نفخ الروح في آدم — عليه السلام — عند خلقه ، قال جل ذكره ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران] .

(٢) الأنفال : ٤١ .

(٣) الحجر : ٤٢ ، الإسراء : ٦٥

وأما « الكلمة »^(١) فمعناها : أن الله تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن ، فلما أوجد الله — تعالى — عيسى — عليه السلام قال له : كن — في بطن أمه — ، فكان ، وتخصيصه بذلك للشرف كما تقدم فهذا معنى معقول متصور ليس فيه شيء كما يعتقد النصارى من أن صفة من صفات الله حلت في ناسوت عيسى — عليه السلام — ، وكيف يمكن في العقل ، أن تفارق الصفة الموصوف ، بل لو قيل لأحدنا إن علمك أو حياتك انتقلت لزيد لأنكر ذلك كل عاقل ، بل الذي يمكن أن يوجد في الغير مثل تلك الصفة ، وأما أنها هي في نفسها تتحرك من محل إلى محل فمحال لأن الحركات من صفات الأجسام ، والصفة ليست جسماً ، فإن كانت النصارى تعتقد أن الصفات أجسام ، والأجسام صفات ، وأن أحكام المختلفات وإن تباينت شيء واحد ، سقطت مكالتهم وذلك هو الظن بهم ، بل يقطع بأنهم أبعد عن ذلك من موارد العقل ، ومدارك النظر .

وبالجملة : فهذه كلمات عربية في كتاب عربي ، فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته في إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث فيه ويستدل به ، ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به ، ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه

الشبهة الرابعة :

ومنها أنه قال^(٢) : ورد في الكتاب العزيز : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٣) .

(١) يؤمن النصارى بعقيدة التليث ، وهي كما يزعمون أن اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين في الكمالات الإلهية وتمتازين في الاسم والعمل ، و« الكلمة » ، و« الروح القدس » ، الثاني منهم ويدعى الأقنوم الأول : [الآب] ، وعندهم أن هذه التسمية هي مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبتها للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية . والأقنوم الثاني : [الكلمة] لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية وأن وسيط الظاهرة بين الله والناس ويدعى أيضاً الابن .

والأقنوم الثالث : [الروح القدس] للدلالة على النسبة بين الآب والابن وعلى عمله في تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته .

قلت : وهو فساد ووهم صدر عن نفوس مريضة ، وهو مردود عليه من علماء الإسلام وأهل التوحيد الخالص واستجده بين صفحات كتابنا هذا .

(٣) آل عمران : ٥٥

(٢) يعنى في حق عيسى عليه السلام .

الجواب عليها :

إن الذين اتبعوه ليسوا النصارى الذين اعتقدوا فيه أنه ابن الله ، وسلكوا مسلك المتأخرين هؤلاء الدبر^(*) ، فإن اتباع الإنسان موافقته فيما جاء به ، وكون هؤلاء المتأخرين اتبعوه محل نزاع ، بل متبعوه هم الحواريون ومن تابعهم قبل ظهور القول بالتثليث^(١) ، وأولئك هم الذين رفعهم الله في الدنيا والآخرة ، ونحن منهم وهم منا ، ونحن إنما نطالب هؤلاء بالرجوع إلى ما كان عليه أولئك ، فإنهم — قدس الله أرواحهم — آمنوا بيسى وبجملة النيين — صلوات الله عليهم أجمعين — ، وكان عيسى — عليه السلام — بشرهم بمحمد — ﷺ — كما استقف على نصوصه آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، فكانوا ينتظرون ظهوره ليؤمنوا به — عليه الصلاة والسلام — ، وكذلك لما ظهر — عليه الصلاة والسلام — جاءه أربعون راهباً من نجران فأملوه ، فوجدوه هو الموعود به ، فأمنوا به في ساعة واحدة بمجرد النظر والتأمل لعلاماته ، فهؤلاء هم الذين اتبعوه ، وهم المرفعون المعظمون ، وأما هؤلاء النصارى فهم الذين كفروا به^(٢) مع من كفر ، وجعلوه سبباً لانتهاج حرمة الربوبية بنسبة واجب الوجود المقدس عن صفات البشر إلى الصاحبة والولد ، الذي ينفر منها أقل رهبانهم ، حتى أنه قد ورد أن الله — تعالى — إذا قال لعيسى — عليه السلام — يوم القيامة : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٣) يسكت أربعين سنة خجلاً من الله — تعالى —^(٤) ، حيث جعل سبباً للكفر به وانتهاك حرمة جلاله ، فخواص الله تعالى يألمون ويحجلون من اطلاعهم على انتهاج حرمة الله تعالى ، وإن لم يكن لهم فيها مدخل ولا لهم فيها تعلق ، فكيف إذا كان لهم فيها تعلق من حيث الجملة !!؟؟ ، ومن عاشر أمثال الناس ورؤساءهم وله عقل قويم وطبع مستقيم ، غير طبع النصارى ، أدرك هذا فما آذى أحد عيسى — عليه السلام — مثل ماآذته هؤلاء النصارى ، نسأل الله العفو

(*) الدبر من كل شيء عقبه ومؤخرته .

(١) لم يكن التثليث قد ظهر دفعة واحدة في المسيحية بل تبلور عليها شيئاً فشيئاً إلى أن أعلن نهائياً عبد غاليتم في نهاية القرن الرابع الميلادي [بالتحديد في مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م] .

[انظر إغاثة اللهفان ٢/٢٧٤ محاضرات في البصرية للشيخ محمد أبو زهرة صفحة ٢٧٥ فما بعدها] .

(٢) قلت : انظر الآيتين [٧٢ — ٧٣] من سورة المائدة ، والآيتين [٣٠ — ٣١] من سورة التوبة .

(٣) المائدة : ١١٦ .

(٤) لم أجد ما يثبت ذلك فيما بين يدي من مصادر .

والعافية بمنه وكرمه .

الشبهة الخامسة :

أنه قال : إن القرآن الكريم شهد بتقديم بيع النصارى وكنائسهم على مساجد المسلمين بقوله — تعالى — : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾^(١) .

فقد جعل الصوامع والبيع^(٢) مقدمات على المساجد ، وجعل فيها ذكر الله كثيراً ، وذلك يدل على أن النصارى — في زعمهم — على الحق ، فلا ينبغي لهم العدول عما هم عليه ؛ لأن العدول عن الحق إنما يكون للباطل .

الجواب على هذه الشبهة من وجوه :

أحدها : أن المراد بهذه الآية أن الله — تعالى — يدفع المكاره عن الأشرار بوجود الأخيار في كل عصر^(٣) ، فما من زمان إلا وفي أهله من الأخيار ، فيكون وجود الأخيار سبباً لسلامة الأشرار من الفتن والمحن ، فزمان موسى — عليه السلام — سلم فيه أهل الأرض من بلاء يعمهم ، بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة الموسوية ، وزمان عيسى — عليه السلام — سلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة العيسوية ، وزمان محمد — ﷺ — يسلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة المحمدية ، وكذلك سائر الأزمان الكائنة بعد الأنبياء — عليهم السلام — ، كل من كان مستقيماً على الشريعة الماضية هو سبب لسلامة البقية ، فلولا أهل الاستقامة في زمن موسى — عليه السلام — لم تبق صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح لعموم الهلاك فينقطع الخير بالكلية ، وكذلك في سائر الأزمان

(١) الحج : ٤٠ .

(٢) سبلى في نهاية الرد على هذه الشبهة شرح لمعنى كلمات « الصومعة » و « الصلاة » و « المسجد » .
(٣) ومن ذلك ما ذكره أهل العلم من السلف عن وجود « الأبدال » وهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر . وقد قيل إنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام ، هذا مما رواه الإمام أحمد في المسند عن علي بن أبي طالب ، وهو حديث منقطع ليس بثابت . وقد أورد السيوطي جملة من هذه الأحاديث في جمع الجوامع [١٩٠/١ ، ٣٩١/١] انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني [٣٣٩/٢ —

٣٤] حديث [٩٣٦ ، ٩٣٥] .

فلولا أهل الخير في زماننا لم يبق مسجد يعبد الله فيه على الدين الصحيح ، ولغضب الله تعالى على أهل الأرض .

الصوامع : أمكنة الرهبان في زمن الاستقامة حيث يعبد الله تعالى فيها على دين صحيح ، وكذلك « البيعة » و « الصلاة » و « المسجد » ، وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله — تعالى — فيها وبدلت شرائعه ، وكانت محل العصيان والطغيان ، لا محل التوحيد والإيمان ، وهذه المواطن في أزمنة الاستقامة لا نزاع فيها ، إنما النزاع لما تغيرت أحوالها وذهب التوحيد وجاء التثليث ، وكُذِّبَت الرسل والأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — ، وصار ذلك يُتلى في الصباح والمساء فحينئذ هي أقبح بقعة على وجه الأرض وألعن مكان يوجد فلا تجعل هذه الآية دليلاً على تفضيلها .

ثانيها : أن الله تعالى قال : ﴿ صوامع وبيع وصلوات ﴾ بالتنكير ، والجمع المنكر لا يدل عند العرب على أكثر من ثلاثة من ذلك المجموع بالاتفاق ، ونحن نقول إنه قد وقع في الدنيا ثلاث من البيع ، وثلاث من الصوامع ، كانت أفضل مواضع العبادات بالنسبة إلى ثلاثة مساجد ، وذلك أن البيع التي كان — عيسى عليه السلام — وخواصه من الحوارين يعبدون الله — تعالى — فيها هي أفضل من مساجد ثلاثة أو أربعة لم يُصَلَّ فيها إلا السفلة من المسلمين ، وهذا لا نزاع فيه ، إنما النزاع في البيع والصوامع على العموم ، واللفظ لا يقتضيه لأنه جمع منكر ، وإنما يقتضيه إن كان مُعَرَّفًا كقولنا : « البيع » — بالألف واللام .

ثالثها : إن هذه الآية تقتضي أن المساجد أفضل بيت عند الله تعالى ، على عكس ما قالها هذا الجاهل بلغة العرب ، وتقريره أن الصنف القليل المنزلة عند الله تعالى أقرب إلى الهلاك من العظيم المنزلة ، والقاعدة العربية : أن الترقى في الخطاب إلى الأعلى فالأعلى أبداً ، في المدح والذم والتفخيم والامتنان ، فيقال في المدح : الشجاع البطل ، ولا يقال : البطل الشجاع ، لأنك تعد راجعاً عن الأول .. وفي الذم : العاصي الفاسق ، ولا يقال : الفاسق العاصي .. ، وفي التفخيم : فلان يغلب المائة والألف ، ولا يقال : فلان يغلب الألف والمائة .. ، وفي الامتنان : لا أبخل عليك بالدرهم ولا بالدينار ، ولا يقال بالدينار والدرهم

والسر في الجميع أنك تعد راجعاً عن الأول كقهرتك عما كنت فيه إلى ما هو أدنى منه .

إذا تقرر ذلك ظهرت أفضلية المساجد ومزيد شرفها على غيرها ، وإن هدمها أعظم من هدم غيرها ، لا يوصل إليه إلا بعد تجاوز ما يقتضى هدم غيرها ، كما نقول : لولا السلطان هلك الصبيان والرجال والأمراء ، فترتقى أبداً للأعلى فالأعلى ؛ لتقخيم أمر عزم السلطان^(١) ، وأن وجوده سبب عصمة هذه الطوائف ، أما لو قلت : لولا السلطان هلك الأبطال والصبيان ، لعدّ كلامك متهافتاً .

رابعاً : أن الآية تدل على أن المساجد أفضل بيت وضع على وجه الأرض للعابدين من وجه آخر ، وذلك أن القاعدة العربية أن الضمائر إنما يحكم بعودها على أقرب مذكور — هذا على احتمال خلاف قوة الكلام وسياقه على وجه المشروح لا أن الضمير راجع إلى جماعة ما ذكر — ، فإذا قلت : « جاء زيد وخالد وأكرمه » فالإكرام خاص بخالد لأنه الأقرب ، فقوله تعالى : ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ يختص بالأخير الذي هو المساجد ، لأن قوله فيها ضمير يختص بالقرب — وهذا قول المفسرين — فتكون المساجد قد اختصت بكثرة ذكر الله — تعالى — ، وهو يقتضى أن غيرها لم يساوها في كثرة الذكر ، فتكون أفضل وهو المطلوب .

فائدة : [فى معنى : « الصومعة » و « الصلاة » و « المسجد »] :

الصومعة : موضع الرهبان ، وسميت بذلك لحدة أعلاها ودقته ، ومنه قول العرب : أصمعت الثريدة ، إذا رفعت أعلاها ، ومنها قولهم : رجل أصمغ القلب إذا كان حاد الفطنة .

والصلاة : اسم لمتعبد اليهود ، وأصلها بالعبرانى صلوتا فعربت .

والبيع^(٢) : اسم لمتعبد النصارى ، اسم مرتجل غير مشتق .

والمسجد : اسم مكان السجود ، فإن مفعلاً فى لسان العرب اسم للمكان واسم للزمان الذى يقع فيه الفعل نحو : المضرب — لمكان الضرب وزمانه .

الشبهة السادسة :

قال : إن القرآن دل على تعظيم الحواريين^(٣) والإنجيل وأنه غير مُبدّل لقوله —

(١) عزم السلطان : قوته وصرامة أمره ..

(٢) مفردها : بيعة .

(٣) ذلك فى مثل قوله تعالى بأخر سورة الصف : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن

تعالى :- ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ﴾^(١) ، أى من التوراة والإنجيل ، وإذا صدقتهما لا تكون مُبدلة ولا يطرأ التغيير عليها بعد ذلك ، لشهرتها في الأعصار والأمصار فيتعذر تغييرها ، ولقوله - تعالى - في القرآن : ﴿ ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾^(٢) ، ﴿ الكتاب ﴾ هو : الإنجيل ، لقوله تعالى : ﴿ فإن كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾^(٣) و ﴿ الكتاب ﴾ هنا هو الإنجيل ، ولأنه - تعالى - لو أراد القرآن لقال بهذا ، ... ولقوله تعالى : ﴿ آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾^(٤) .

الجواب على هذه الشبهة :

إن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه ، وأنهم من خواص عباد الله الذين اتبعوا عيسى - عليه السلام - ولم يدلوها ، وكانوا معتقدين بظهور محمد - ﷺ - في آخر الزمان ، على ما دلت عليه كتبهم ، - وهو ما سناذكره في الباب الرابع - إن شاء الله تعالى - وإنما كفر وخالف الحادثون بعدهم .

وأما تصديق القرآن لما بين يديه فمعناه : أن الكتب المنزلة المتقدمة عند نزولها : قبل تغييرها وتخييطها ، كانت حقاً موافقة للقرآن ، والقرآن موافق لها ، وليس المراد الكتب الموجودة اليوم ، فإن لفظ التوراة والإنجيل إنما ينصرف إلى المنزليين ، وسأبين أن الموجود الآن غيرهما في كثير من المعاني والوجوه .

وأما قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ وأنه المراد به الإنجيل فمن الافتراء العجيب والتخيل الغريب ، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن الكريم ليس إلا ، وقد أخبر الناطق بهذا اللفظ ، وهو رسول الله - ﷺ - أن المراد هذا الكتاب^(٥) ، كيف يليق أن يحمل على غيره ، فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه في قول نفسه ، إنما ينازع في تفسير قول غيره إن أمكنت منازعته

ترجم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴿ .

(٤) الشورى : ١٥ .
(٥) أى القرآن الكريم .

(١) المائدة : ٤٨ .
(٢) البقرة : ١ - ٢ .
(٣) آل عمران : ١٨٤ .

للإشارة في اللغة العربية ثلاثة أحوال :

وأما الإشارة بـ ﴿ ذلك ﴾ التي اغتر بها هذا السائل ، فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال :

« ذا » للقريب ...

، و« ذاك » للمتوسط ...

، و« ذلك » للبعيد ..

لكن البعد والقرب يكونان : تارة بالزمان وتارة بالمكان ، وتارة بالشرف ، وتارة بالاستحالة ، ولذلك قالت زليخا^(١) في حق يوسف — عليه السلام — ، لما اجتمعت مع نسوة بالمدينة ، ويوسف — عليه السلام — بالحضرة وقد قطعن أيديهن من الدهشة بحسنه : ﴿ فذلكن الذي لمتني فيه ﴾^(٢) إشارة لبعده — عليه السلام — في شرف الحسن ، وكذلك القرآن الكريم لما عظمت رتبته في الشرف أشير إليه بـ « ذلك » ، وقيل : أشير إليه بـ « ذلك » لبعده مكانه لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ ، وقيل : لبعده زمانه لأنه وُعد به في الكتب المنزلة قديماً ، وقيل : لما كان أصواتاً والصوت يستحيل بقاءه فصار بسبب هذه الاستحالة في غاية البعد لأن المستحيل أبلغ من البعيد .
وأما قوله تعالى : ﴿ جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ فاعلم أن اللام^(٣) في لسان العرب تكون :

لاستغراق الجنس : نحو : حرم الله الخنزير والظلم .

وللعهد : نحو قولك لمن رآك أهنت رجلاً : « أكرمت الرجل بعد إهانتة » .
ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها .

فتحمل في كل مكان على حسب ما يليق بها ، فهي في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ للعهد ، لأنه موعود به ، مذكور على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فصار معلوماً فأشير إليه بلام العهد ، وهي في قوله تعالى : ﴿ بالبينات والزبر والكتاب ﴾ للجنس ، إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة [وليس] المراد ههنا [غير ذلك] .

(١) انظر تفسير الحافظ ابن كثير [٤٩٠/٢] .

(٢) يوسف : ٣٢ .

(٣) يعني : أل ، أى ألف ولام التعريف .

ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهماً متقناً .
وقوله تعالى لئيبه — عليه السلام — [وهو] أمر له — بأن يقول : ﴿ آمنت بما
أنزل الله من كتاب ﴾^(١) فالمراد الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمتري فيه عاقل .

عدم موثوقية الأناجيل المتداولة :

ونحن ننازعهم في أن ما بأيديهم الكتب المنزلة بل هي مبدلة مغيرة وفي غاية
الوهن والضعف وسقم الحفظ والرواية والسند ، بحيث لا يوثق بشيء منها .

الأناجيل التي يعترف بها نصارى اليوم :

وبيانه أن الأناجيل خمسة ، يعرف النصارى منها أربعة مشهورة ، والخامس لا يعرفه
إلا القليل منهم .

فالأربعة :

[الأول] : إنجيل متى^(٢) وهو من الجواريين الإثني عشر ، وبشر بإنجيله باللغة
السريانية بأرض فلسطين ، بعد صعود المسيح — عليه السلام — إلى السماء بثان
سنين ، وعدة إصحاحاته ثمانية وستون إصحاحاً^(٣) .

(١) التورى : ١٥ .

(٢) إنجيل متى : كُتب متى وهو أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر ويسمى النصارى رسلاً — مات سنة ٧٠ ببلاد
الحبشة على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة ، وقيل أنه طعن برمح سنة ٦٢ بالحبشة ، وقد
اتفق جمهور النصارى على أنه كتب الإنجيل بالعربية أو السريانية ، واحتفظوا في تاريخ تدوينه ، كما احتفظوا في
تاريخ ترجمته إلى اليونانية ، كما لا يُعرف من الذى ترجمه ، ولا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية
التي كانت بالعربية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم
إليها ، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي

[محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ج ٤٨ فما بعدها]

(٣) قلت : ذكر المُصنّف — رحمه الله — فيما يلي من الصفحات أن عدد إصحاحات الأناجيل الأربعة للصلوة
في عصره كالآتي : متى ٦٨ إصحاحاً ، مرقس ٤٨ إصحاحاً ، لوقا ٨٣ إصحاحاً ، يوحنا ٣٣ إصحاحاً .
أما ما بين أيدينا من الأناجيل المتداولة اليوم فقد وجدنا أن عدد إصحاحاتها كل منها كالآتي : متى ٢٨ إصحاحاً ،
مرقس ١٦ إصحاحاً ، لوقا ٢٤ إصحاحاً ، يوحنا ٢١ إصحاحاً .

[الفلبي] : إنجيل مرقس ، وهو من السبعين^(١) وبشر بإنجيله باللغة الفرنجية^(٢) بمدينة رومية^(٣) بعد صعود المسيح — عليه السلام — باثنتي عشر عاماً وعدد إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحاً .

[الثالث] : إنجيل لوقا^(٤) وهو من السبعين^(٥) وبشر بإنجيله بالإسكندرية باللغة اليونانية وعدد إصحاحاته ثلاثة وثمانون إصحاحاً .

(١) يقول المؤرخون إن اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين الإثني عشر الذين تعلموا للمسيح ، وأصله من اليهود ، وكانت أسرته بأورشليم في وقت ظهور المسيح ، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته ، فاختره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقادهم من بعد رفعه ، وأهموا التبشير بالمسيحية كما أهموا مبادئها . وقد كُتب هذا الإنجيل باليونانية .

(٢) أجمع مؤرخو النصارى على أنه كتب باليونانية .

(٣) هي روما عاصمة إيطاليا اليوم .

وقد اختلف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل وفي كتابه [انظر كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة ص ٥٥ فما بعدها] :

(٤) تبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل ، فمن قائل أنه أنطاكي ولد بأنطاكية ، ومن قائل أنه روماني ولد بإيطاليا ، ومن قائل أنه كان طيبياً ، ومن قائل أنه كان مصوراً ، وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوليه ، كما اختلفوا في القوم الذين كتب لهم ، وفي تاريخ تأليفه ، وقد كتب باليونانية .

[كتاب الشيخ أبو زهرة — مرجع سابق/ص ٥٧ فما بعدها]

(٥) قلت : لم يكن لوقا من السبعين ولم ير المسيح وإنما سمع عن المسيح من القوم الذين شاهدوه ، وأول إنجيله شاهد بذلك إذ يقول فيه : « إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتينة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاصرين . وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس » .

وقد ذكر القرائي — رحمه الله — ما يؤيد هذا الرأي في موضع لاحق عند حديثه عن تناقض الأناجيل وسياق.

بعد قليل

[الرابع] : إنجيل يوحنا^(١) وهو من الإثنى عشر^(٢) ، بشر بإنجيله في مدينة أفسس من بلاد رومية^(٣) بعد صعود المسيح — عليه السلام — بثلاثين سنة ، وعدة إصحاحاته في النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون إصحاحاً .

[الإنجيل الخامس]^(٤) : يسمى إنجيل الصبوة ذكر فيه الأشياء التي صدرت من المسيح في حال طفولته ينسب لبطرس عن مريم — عليها السلام ، وفيه زيادة ونقصان ، وقد ترك كثيراً من أعلام المسيح — عليه السلام — ، ومشاهير معجزاته ، ويذكر فيه قدوم المسيح — عليه السلام — وأمه — رضى الله عنها — ويوسف النجار إلى صعيد مصر ، ثم عودته إلى ناصرة (قرية عند بيت المقدس وإليها ينسب النصارى) .

(١) يقول جمهور النصارى إن كاتب الإنجيل هو يوحنا الحواري بن زبدي الصياد الذي كان يحبه المسيح ، حتى أنه استودعه والدته وهو فوق الصليب — على زعمهم — وهو من أخطر الأناجيل لأنه تكلم بصراحة عن ألوهية المسيح والتثليث ، وقد احتفلوا في تاريخ تدوينه ما بين سنة ٦٨ حتى ٩٨ ميلادية ، وقد انفرد بذكر ألوهية المسيح ، وهذا مما لم تقله الأناجيل الثلاثة السابقة عليه .

وفي دائرة المعارف البريطانية التي وضعها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : « أما إنجيل يوحنا فإنه ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما يوحنا ومسي ، وقد ادعى هذا الكاتب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي ٧ رابطة بينها وبين من نسبت إليه [محاضرات في النصرانية ٦٥ — ٦١ بتصرف] .

(٢) ليس مقطوعاً بالضبط أن يوحنا أحد الإثنى عشر ، والغرض من هذا الإنجيل إثبات ألوهية المسيح ، وذلك في نهاية القرن الأول الميلادي ، فلا بد أن يكون يوحنا آخر سوى الحواري .

(٣) ليس المراد أنها في إيطاليا ، بل هي بلاد الأناضول ، لأن أفسس ليست من بلاد إيطاليا ، بل هي قبالة زاوية خليج الإسكندرونة ، وتوجد أفسس أخرى قرب أزمير .

(٤) الأناجيل الأربعة السابقة هي التي تعرف بها الكتابس ، وظهرها الفرق النصرانية وتأخذ بها ، ولكن التاريخ يروى لنا أنه كانت في العصور القابرة أناجيل أخرى ، قد أخذت بها فرق قديمة ، وراجت عندها ولم تحقق كل فرقة إلا إنجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديسان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ، ولأصحاب ماني إنجيل يخالف هذه الأربعة . وهو الصحيح في زعمهم . وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس ، والنصارى ينكرونه ، وإنجيل برنابا وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة ، وإنجيل سرن هس ، وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة ، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أزدادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة — في اعتقادها — فأختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الراجعة أبان ذلك .

[كتاب محاضرات في النصرانية ص ٤٩ ، ص ٦٨]

وأضيف : أن الدكتور سعادة مترجم إنجيل برنابا قال في مقدمته بعد أن أفاض في الاحتمالات والآراء في إنجيل برنابا : « بيد أن هناك إنجيلاً يسمى بالإنجيل الأخطسى طمست رسومها وغت آثاره ، . . . » .

بيان تناقض الأناجيل الأربعة

وفي هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها البعض أمر عظيم ، حتى إن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله — تعالى — وأن أكثرها من أقوال الرواة وأقاصيصهم وأن نقلته أفسدوه بما ألحقوا فيه من حكايات ، وأمور غير مسموعة من المسيح — عليه السلام — ولا من أصحابه ، مثل حكاية صورة الصلب ، والقتل واسوداد الشمس ، وتغير لون القمر ، وانشقاق الهيكل ، وهذه الأمور إنما جرت في زعمهم بعد المسيح — عليه السلام — بسبب قتله — كما يزعمون — فكيف تُجعل من الإنجيل ، والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح — عليه السلام —^(١) وإذا كان كذلك انخرمت الثقة بهذا الإنجيل ، لا سيما وهو أربعة والمنزل واحد ، وهذه الأربعة أمليت في أقطار الأرض المتباعدة ، بلغات مختلفة ، وأقلام متباينة ، مع أن كل واحد منها ذكر من الأفاصيص والحكايات ما لم يذكره الآخر ، فليت شعري ، أتى منها أو فيها هو من المنزل من عند الله تعالى !!! ، والمنزل واحد بلغة واحد على نظام واحد ، ثم إن لوقا ومرقس ليسا من الحواريين بل نقلتا عن غيرهما عن المسيح — عليه السلام — فهما نقلتا كلام غير المسيح — عليه السلام — والحجة إنما هي في كلامه — عليه السلام — فلا حجة في هذين الإنجيلين^(٢) البتة .

وقد قال لوقا في صدر إنجيله : « إن أناساً راموا ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون ، كما عهد إلينا ، أولئك الصفوة الذين كانوا خداماً للكلمة فرأيت أنا إذ كنت تابعاً أن أكذب إليك أيها الأخ العزيز تأويلاً تعرف به حقائق الأمر الذي وعظت به »^(٣) .

فقد اعترف أنه لم يلق المسيح — عليه السلام — ولا خدمه ، وإنما كتابه تأويلات

(١) انظر محاضرات في النصرانية [ص ٦٦ — ٦٨] للشيخ محمد أبو زهرة — رحمه الله — ط . رئاسة الافتاء . والإرشاد السعودية [الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ] .

(٢) يعني إنجيل لوقا وإنجيل مرقس .

(٣) فيما بين أيدينا من نسخ إنجيل لوقا المتداولة اختلاف عما سطره القرائ ، ولعل هذا راجعاً لاختلاف ترجحات إنجيل لوقا من اليونانية إلى العربية .

جمعها مما وعظ به خدام الكلمة .

وها أنا أسرد تناقضاتها لتعلم تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء منها ، فإنه ليس البعض أولى من البعض .

التناقض الأول :

قال يوحنا : من يوسف خطيب مريم — عليها السلام — وهو المسمى النجار — إلى إبراهيم — عليه السلام — اثنان وأربعون ولادة .

وقال لوقا : أربع وخمسون .

التناقض الثاني :

قال لوقا : قال جبريل الملك لمريم بانصرة : « إنك ستلدن ولداً اسمه يسوع يجلس الرب على كرسي أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب » .

وكذبه يوحنا وغيره فقال : بل حمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد « بيلاطس » ، وقد ألبسه شهرة الثياب ، وتوجّه بتاج الشوك ، وصفعوه وسخروا منه ، ففاوضه بيلاطس طويلاً فلم يتكلم ، فقال له : أما تعلم أن لي عليك سلطاناً ، إن شئت صلبتك ، وإن شئت أطلقتك ، فأجابه يسوع — عليه السلام — : « لولا أنك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك على سلطان ، ومن أجل ذلك خطيتي التي أسلمتني إليك عظيمة »^(١) ، وصلبه بعد ذلك .

(١) قلت تنبيهاً : أكثر النصوص التي كتبها القراء — رحمه الله — من الإنجيل في كتابه الذي بين أيدينا الآن نجد أنها لا تتطابق تماماً مع النصوص التي بين أيدينا من الأناجيل المتداولة اليوم ، بل وأحياناً لا تجد للنص أثراً في الأناجيل المتداولة ، وهذا أفسره بشهين .

١ — الترجمة من لغة لأخرى تعطي اختلافاً في النص ، والأناجيل إنما كتبت بلغات غير العربية ، بل وقد تكون ترجمت إلى لغات أخرى غير التي كتبت بها ثم نقلت من اللغات الأخرى إلى العربية ، مما يعطي اختلافاً في معاني النصوص يختلف بحسب المترجم .

٢ — أما في حالة عدم وجود نص مماثل نصاً أورده القراء فلعل هذا يرجع إلى تحريف أحدته بعضهم — في النصوص القديمة — وحذف وتزوير .

وفي عدد مجلة آخر ساعة رقم ٢٤٦٠ في ١٦/١٢/١٩٨١ ما نصه : « ظل العالم النصراني الذي يقرأ الإنجيل بالإنجليزية محافظاً على الترجمة المعروفة باسم الملك جيمس الأول ، وكان المتعلمون من النصراني يقرعون الإنجيل قبل هذا باللغة اللاتينية ، فلما ظهرت القوميات الأوروبية المختلفة بدأ في ترجمة الإنجيل من اللاتينية ومن العربية إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، ومرت على هذه الترجمة أكثر من ثلاثمائة سنة ، إذ ظهرت في سنة ١٦٦١ م =

وهو تناقض فاحش ، أحدهما يجعل يسوع — عليه السلام — ملكاً عظيماً لبني إسرائيل ، والآخر يصفه بصفة الذلة والمهانة ، ثم إن هذا الملك لم يتفق قط إما على رأيهم — فلأنه صُلب وهو في غاية الخمول — ، وإما على رأينا — فلأن الله تعالى رفعه من غير ملك ولا مهانة — ، فهذا لا أصل له ، ثم إن محاوره تجرى بين جبار وعيسى — عليه السلام — أى شيء أدخلها في الإنجيل المنزل من السماء !!!؟ ، بل تقطع بأن هذا غير منزل .

التناقض الثالث :

قال لوقا : لما نزل بيسوع — عليه السلام — الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه ، وكان يصلى متواتراً وصار عرقه كعبيط^(١) الدم .

ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا ، وإذا تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم من الفرائض والأحكام ، وإن كان الترك صحيحاً فتكون الزيادة كذباً فى النسخ الأخرى ، وهذا هو التحريف والتبديل ، مع أن نقل لوقا يقتضى رفع المسيح — عليه السلام — إلى السماء ، لأن الملك لا تغلبه اليهود ، وما نزل إلا للعصمة من الأذى والرفع ، هذا ظاهر الحال وهو مبطل معتقد النصارى فى الصلب .

ثم تقوية الملك إن كانت للاهوت المتحد بالناسوت فيمحال ؛ لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره ، وإن كان للناسوت فحينئذ هو غير اللاهوت ، فما حصل الاتحاد الذى يقولونه .

التناقض الرابع :

قال يوحنا — وهو أصغر الأربعة — : « إن أول آية أظهرها المسيح — عليه السلام — تحويل الماء خمراً » .

ولم يذكرها الثلاثة ، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين وإن كانت لم تتضح عندهم ، فكيف ينقل دين عن شخص واحد وهو يوحنا وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر !!!؟

وفي خلال هذه القرون الثلاثة حلت فى اللغة السائدة بين الناس كلمات جديدة مكان الكلمات القديمة ، وتغير تركيب الجمل والعبارات ، فقام الأمريكيون منذ بضع سنوات بوضع صياغة جديدة للإنجيل تتماشى مع التعبيرات السائدة فى أيامنا هذه وعرفت هذه الصياغة الجديدة باسم الطبعة الشعبية للإنجيل ، ولم يعترض رجال الدين عليها .

(١) العييط من الدم : الخالص الطرى .

التناقض الخامس:

قال يوحنا : إن المسيح — عليه السلام — غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان في وسطه وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع .
ولم يذكر ذلك الثلاثة الآخر ، فإن كان كذباً دخل الخلل ، وإن كان صدقاً فلم أغفلوه ؟ فدخل الخلل .

التناقض السادس:

قال يوحنا : قال يسوع — عليه السلام — : « إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادة باطلة ، ولكن غيري يشهد لي ، فأنا أشهد لنفسي وأنى أيضاً يشهد لي أنه أرسلني .. » ، وقالت توراتكم إن شهادة رجلين صحيحة ، فجعلوا الله — تعالى — رجلاً ، وأثبتوا شهادته لنفسه مع القول ببطانها ، وهذا كلام ينزه عنه المسيح — عليه السلام — وأصحابه .

التناقض السابع:

قال يوحنا : لما مضى المسيح — عليه السلام — ليوحنا المعمدانى⁽¹⁾ ليعتمد منه ، قال له المعمدانى حين رآه : هذا جروف الله الذى يحمل خطايا العالم ، وهو الذى قلت لكم إنه يأتى به بعدى وأنه أقوى منى .

وقال متى : لما رآه المعمدانى قال : إني المحتاج إلى أن أنصبع على يديك ، فكيف جئتنى تنصبع على يدي .. ، وأرسل إليه بعد ذلك : أنت الآتى أو ننظر غيرك ؟ ومرقس لم يقل شيئاً من ذلك .

فاختلف الثلاثة : فجزم الأول ، وجعله الثانى غير عالم حتى يسأله ، وسكت الثالث بالكلية ..

التناقض الثامن:

قال متى : يوسف خطيب مريم — عليها السلام — ، اسم أبيه يعقوب .
وقال لوقا : أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف ابن هال .. ، فجعل اسم أبيه هال ، والأول جعله يعقوب ، وهو تكاذب .
ثم إن قضية عيسى — عليه السلام — فى كونه ولد من غير أب كانت فى غاية

(1) يعنى النبى يحيى — عليه السلام — ، وكان ابن خالة المسيح عيسى عليه السلام .

الشهرة عند بنى إسرائيل حتى آذوا مريم — عليها السلام — إهداءً عظيماً برميها بالزنا ،
ووصلت القضية إلى أقطار الأرض ، فيكف يخفى على عيسى — عليه السلام — ذلك
ثلاثين سنة !!؟؟ .

التناقض التاسع:

قال متى : صُلب مع المسيح — عليه السلام — لسان ، عن يمينه وعن شماله ، كانا
يهزنان به جميعاً ويعيرانه .

وقال لوقا : إنما هزأ به أحدهما ، وكان الآخر يقول لصاحبه : أما تتقى الله
— تعالى — ، أما نحن فبالعدل جوزينا ، وأما هذا فلم يعمل قبيحاً . ثم قال للمسيح
— عليه السلام —: اذكرنى فى ملكوتك ، فقال : حقاً إنك تكون معى اليوم فى
الفردوس .

فكذب قول متى أنهما يهزنان به ، وأغفل هذه القضية مرقس ويوحنا ، ومن المحال
أن يحدث مثل هذا ولا يشيع فى ذلك الوقت ، فإن كان صحيحاً فلم تركاه ؟؟ ،
أو كذباً فلم اختلقه الآخر ؟؟ .

التناقض العاشر:

قال لوقا : إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ؛ ولكن لينجى .
وقال الباقون ؛ ابن الإنسان لم يأت ليلقى على الأرض سلاماً ، ليكن سيفاً ويضرم
فيها ناراً .

وهذا كلام تيراً التلاميذ منه ؛ لأن الأول جعله رحمة للعالمين ، والآخر جعلوه
نقمة عليهم .

التناقض الحادى عشر:

قال متى : إن مريم — عليها السلام — خادمة المسيح — عليه السلام — جاءت
لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى ، وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما :
لا تخافا فليس يسوع هنا ، قد قام من بين الأموات ، ثم لقيتا المسيح . وقال : لا بأس
عليكما ، قولوا لإخوانى ينطلقون إلى الجليل .

وقال يوحنا : جاءت وحدها يوم الأخذ بغلس* ، فرأت الصخرة رُفعت عن القبر

(*) الغلس : ظلمة آخر الليل .

فأسرعت إلى شمعون وتلميذ آخر ، فأخبرتهما أن المسيح — عليه السلام — قد أخذ من المقبرة ولا أدري أين دفن؟؟ ، فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر فبينما هي كذلك التفتت فرأت المسيح — عليه السلام — قائماً ، فلم تعرفه ، وحسبته حارس البستان ، فكلما فعرفته ، وقال لها إنني لم أصعد بعد ، اذهبي إلى إخواني فقولى : « إني منطلق إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » .

فأحدهما يقول : إن الملك هو الذى أمَّنها ، والآخر يقول هو المسيح — عليه السلام — :

وأحدهما يقول عشية السبت ، والآخر يقول يوم الأحد .

وأحدهما يحكى عن مريم وحدها ، والآخر عنها مع غيرها .

ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلاً لاعتقادهم ، ويقولون قد قال : « إني منطلق إلى أبي » ، ويغفلون عن قوله : « وأبيكم » وعن قوله : « وإلهكم » ، ويقبلون في أصل دينهم قول امرأة واحدة مع أن هذا الكلام لو وجد في كلام المغفلين لم يُقبل واستهجن ، ولا يظهر في مرآة عقلهم كيف يعبدون من وُلد في رطوبات الأرحام ودمائها ، ونشأ في ضعف الضفونة وذوائها^(*) ، تعتوره^(**) الأمراض والأسقام والأفكار والآلام والحاجة إلى الشراب والطعام والنم ، ثم يُصنع على زعمهم ، ويُصلب ، ويُهان ، ويكسى عليه ، ويندب بالثكلان ، ويلتبس على من يراه بناطور^(***) البستان ، فلو أن اليهود بالغوا في اهزاء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان^(١) .

(*) اللأواء : الشدة .

(**) اغتَوَزُوا الشئ : تداولوه فيما بينهم .

(***) الناطور : الحارس .

(١) قال ابن القيم — رحمه الله — : من المعلوم أن هذه الأمة — يعنى النصارى — ارتكبت محذورين عظيمين ، لا يرضى بهما ذو عقل ، ولا معرفة :

أحدهما : الغلو في الخلق ، حتى جعلوه شريك الخالق وجزءاً منه ، وإلهاً آخر معه ، وأنفوا أن يكون عبداً له .

والثانى : تَنَقُّص الخالق وسبِّه ، ورميه بالعظام ، حيث زعموا أنه — سبحانه وتعالى — عن قلوبهم علواً كبيراً — نزل من العرش عن كرسى عظمته ، ودخل في فرج امرأة ، وأقام هناك تسعة أشهر يتخط بين البول والدم والنجو [وهو ما يخرج من البطن من ربح وغاتط] ، وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن ، ثم خرج من =

التناقض الثاني عشر :

صعود المسيح — عليه السلام — إلى السماء أغفله يوحنا ومتى وهما من الحواريين الإثنى عشر^(١) ، وذكره لوقا ومرقس ولينسا من الحواريين واختلفا ، فقال مرقس : إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليماً ثم صعد من يومه ، وخالفه لوقا فقال : إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوماً ، مع أن الصعود أمر عظيم لا ينبغي أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم .

التناقض الثالث عشر :

قال متى : قال يسوع : « حقاً أقول لكم ، إن قوماً من القيام ههنا لا يدوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته » ؛ ومات القيام ومن بعدهم ، فدل على أن هذا الكلام كذب وافتراء ، وهو يخرم الثقة بجميع ما يقولونه .

التناقض الرابع عشر :

قال متى : قال المسيح — عليه السلام — للتلاميذ الإثنى عشر : « أنتم الذين تكونون في الزمن الآتي جلوساً على اثني عشر كرسيًا ، تدينون اثني عشر سبطًا من بني إسرائيل » .

فشهد لكل بالفوز والزعامة ... ثم نقض ذلك متى بنفسه فقال : « مضى أحد التلاميذ الإثنى عشر ، وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة فارتشى على يسوع بثلاثين

≡ حيث دخل ، رضيعاً يمص الثدي ، وألف في القمط ، وأودع السرير ، يكي ويجوع ، ويعطش ويول ، ويضطو ، ويحمل على الأيدي والمعاتق ، ثم صار إلى أن لظمت اليهود خديه ، وربطوا يديه ، وبصقوا في وجهه ، وصفعوا قفاه ، وصلبوه جهراً بين لعين ، وألبسوه إكليلاً من الشوك ، وسمزوا يديه ورجليه ، وجرعوه أعظم الآلام ، هذا وهو الإله الحق الذي بيده أنقذت العوالم ، وهو المعبود المسجود له ، ولعمرك الله إن هذه مسبة الله سبحانه ما سبه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم ، كما قال تعالى فيما يحكى عنه رسوله الذي نزهه ونزه أخاه المسيح عن هذه الباطل الذي : ﴿ تكاد السموات يظفرن منه وتنشق الأرض وتحمر الجبال هذا ﴾ [مريم : ٩٠] ، فقال : شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك ، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك ، أما شتمه إياي فقله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ، ولم أولد ، ولم يكن لي كفواً أحد ، وأما تكذيبه إياي فقله : لن يعبدني كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون عني من إعادته ، [إعانة اللهفان ٢/٢٨٢ - ٢٨٤] .

(١) قلت : ليس مقطوعاً بالعتبط أن يوحنا كان من الإثنى عشر ، وقد ذكرث ذلك سابقاً .

درهما ، وجاء بالشرط^(*) إليه ، فقال له يسوع : الويل لك ، خير لك أن لا تولد .

التناقض الخامس عشر :

قال متى : لما حُمل يسوع إلى بيلاطس القائد قال : أى شر عمل هذا ؟؟ ، فصرخ اليهود وقالوا : يُصلب يُصلب ، فأخذ القائد ماء وغسل يده ، وقال : أنا برىء من دم هذا الصديق ، وأنتم أبصر .

وكذَّبهُ يوحنا فقال : « بل ضرب يسوع ثم سلَّمه إليهم » ... ، وهو تناقض صريح :

نكتفى بهذا القدر :

ولنقتصر على هذه النبذة من تهافت الأناجيل وما اشتملت عليه من الذلة والأباطيل ، ومن طالع كتبهم وأناجيلهم ، وجد فيها من العجائب ما يقضى له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم ونقلوهم تفرق أيد سباً^(١) ، وأن القوم لا يلتزمون مذهباً .

والعجب أن أناجيلهم حكايات وتواريخ ، وكلام كفره وكهنة وتلاميذه وغيرهم ، حتى أنى أحلف بالله الذى لا إله إلا هو أن تاريخ الطبرى عند المسلمين أصح نقلاً من الإنجيل !! ، ويعتمد العاقل عليه أكثر ، مع أن التاريخ لا يجوز — عند المسلمين — أن يُبنى عليه شيء من أمر الدين ، وإنما هو حكايات فى المجالس ، ويقولون مع ذلك : الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا ، وأمر السيد المسيح باتباعه ، فليت شعرى أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى ؟؟ ، وأين كلماته من بين هذه الكلمات ؟؟

ثم الذى ينقلونه عن عيسى — عليه السلام — من لفظه — وهو القليل — لا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله — تعالى — ؛ لأن المسيح — عليه السلام — كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ، ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك ، فهذا كله ليس من عند الله ؛ ولذلك لا يقول المسلمون كل ما تكلم به محمد — عليه السلام — من القرآن ، ونقل عنه القرآن نقلاً متواتراً يقطع بصحته خلفاً وسلفاً ، أما النصرى فلا

(*) الشرط : جمع شرطه وشرطى .

(١) يقال : « تفرقوا أيدي — وأيادي — سباً » ، يعنى مثل تفرق أولاد سباً بن يشجب حين أرسل عليهم سيل العرم ، والأيدي يكى لها عن الأولاد الأسرة لأنهم فى القوة بمنزلة الأيدي .

يتعين لهم شيء مما أنزل الله — تعالى — أبداً ، فضلاً عن نقله بعد تعيينه ، فانظر هذه الحال ما أشد بُعدها عن الصواب ، وما أخلصها للشك والارتياب ومع ذلك لا يستحيون ويجاهرون بقولهم : « نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله — تعالى — ، وهو مضبوط عن الخلل برىء من الزلل » .. فهم جديرون بأن يُضحك عليهم أبد الدهر ، وإن شئت قلت : يُنكى عليهم .

وأعجب من ذلك : صومهم الذى يتكرر عليهم فى كل عام^(١) ، يصومون نحو الشهر والشهرين ، فيهما واجب وغير واجب — بإجماعهم — ، وإذا سألتهم : ما عدد الواجب ؟؟ لم تجد من يعرفه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
ولقد عذرت بعض الفضلاء لما سمعته يقول : النصارى عرّة^(٢) على ولد آدم .

الشبهة السابعة :

أنه قال : إن القرآن الكريم أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تبعدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾^(٣) ، ولقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾^(٤) والظالمون إنما هم اليهود عبدة العجل^(٥) وقتلة الأنبياء^(٦) ، وبقوله تعالى : ﴿ وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾^(٧) ، ولم يقل : « كونوا له مسلمون » .. وبقوله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا

(١) لابن قيم الجوزية — رحمه الله — : إذا شئت أن ترى التغير فى دينهم ، فانظر إلى صيامهم الذى وضعوه للوكهم وعظمتهم ، فلهم صيام للحواريين ، وصيام لمارى مريم ، وصيام لمارى جرجس ، وصيام للميلاد ، وتركهم أكل اللحم فى صيامهم مما أدخلوه فى دين المسيح ، وإلا فهم يعلمون أن المسيح — عليه السلام — كان يأكل اللحم ، ولم يمنعه منه لا فى صوم ولا فطر .

وأصل ذلك ، أن المانوية كانوا لا يأكلون ذا روح ، فلما دخلوا فى النصرانية خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيقتلوا ، فشرعوا لأنفسهم صياماً ، فصاموا للميلاد والحواريين ، ومارى مريم ، وتركوا فى هذا الصوم أكل اللحم محافظة على ما اعتادوه من مذهب ماني ، فلما طال الزمان تبهم على ذلك النصارى فصارت سنة متعارفة بينهم .
[بعض التصرف / إغاثة اللهفان ٢ - ٢٨٧]

(٢) يقال : فلان عرّة أى قدر ، وهو يقرّ قومه أى يدخل عليهم مكرهاً يلطخهم به .

(٣) الكافرون : ١ - ٦ . (٤) البقرة : ٩٢ ، ٩٣ ، طه : ٨٨ .

(٤) العنكبوت : ٤٦ . (٥) فى القرآن الكريم : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] .

(٥) العنكبوت : ٤٦ .

اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴿١﴾ ، فذكر حميد صفاتنا وجميل نياتنا ، ونفى اعتنا الشرك بقوله : ﴿ والذين أشركوا ﴾ وسوى بيننا وبين غيرنا بقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا وال نصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٢) .

الجواب على هذه الشبهة :

أما قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ إلى آخرها فمعناها : أن قريشاً قالت له — عليه الصلاة والسلام — اعبد إلهاً عاماً ونعبد إلهك عاماً ، فأمره الله تعالى أن يقول لهم ذلك ، فليس المراد النصارى ، ولو كان المراد النصارى لم ينتفعوا بذلك ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ معناه المودة والتمسك ، فإن الله تعالى أول ما بعث نبيه محمداً عليه السلام أمره أولاً بالارشاد والبيان ليبتدى من قصده الاهتداء ، فلما قويت شوكة الإسلام أمره بالقتال بقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وماؤا هم جهنم وبئس المصير ﴾ (٣) .

قال العلماء : نسخت هذه الآية نيفاً وعشرين آية (٤) ، منها : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ وقوله : ﴿ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ (٦) ، وغير ذلك .

وليس في التماركة والاعتصار على الموعظة دليل على صحة الدين المتروك وقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ دليل على أنهم على الباطل فإنهم لو كانوا على الحق ما احتجنا للجدال معهم ، فهي تدل على عكس ما قالوا . وقوله تعالى : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ المراد من طغى ، ولم يقصد الاسترشاد من كل طائفة ، ولا يختص ذلك باليهود ، فإننا نعدل معه عن الدليل والبرهان إلى السيف

(٣) التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩

(٢) البقرة : ٦٢

(١) المائدة : ٨٢

(٤) قال الحافظ السيوطى فى « الناسخ والمنسوخ » : هذه الآية مدنية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، وهى آية

محكمة .

(٦) العاشية : ٢٢

(٥) المائدة : ١٠٥

القاطع والبيان الساطع .. ، وأمره تعالى بأن تؤمن بما أنزل على أهل الكتاب صحيح ، ولكن أين المتزل ؟؟ ، والله أن وجوده أعز من عنقاء مغرب^(١) ، وقد تقدم بيانه في تناقض الأناجيل .

وأما قوله تعالى : ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ فخاص بنا ، أمرنا تعالى أن نقول ذلك نتبع فيه فهو دليل أمرهم بالإسلام عكس ما قاله ، ولو لم يكن لهم أمر لكانوا مأمورين بآيات غير هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾^(٢) ، ويقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴾^(٣) وغير ذلك كثير .

وأما مدح النصرارى بأنهم أقرب مودة ، وأنهم متواضعون فمُسلم ، لكن هذا لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين في النار وغضب الجبار ؛ لأن السجايا الجليلة والآداب الكسبية تجتمع مع الكفر والإيمان كالشجاعة والظرف واللطف وجودة العقل ، فليس فيه دليل على صحة دينهم .

وأما نفى الشرك عنهم فالمراد الشرك بعبادة الأصنام لا الشرك بعبادة الولد واعتقاد التثليث ، وسببه أنهم مع التثليث يقولون : الثلاثة واحد ، فأشاروا إلى التوحيد — بزعمهم — بوجه من الوجوه ، ويقولون نحن لا نعبد إلا الله — تعالى — لكن الله — تعالى — هو المسيح ، ونعبد المسيح والمسيح هو الله ، — تعالى الله عن قولهم — فهذا وجه التوحيد من حيث الجملة ، ثم يعكسون ذلك فيقولون : الله ثالث ثلاثة ، وأما عبدة الأوثان فيصرحون بتعدد الآلهة من كل وجه ، ولا يقول أحد منهم أن الصنم هو الله — تعالى — ، وكانوا باسم الشرك أولى من النصرارى ، وكان النصرارى باسم الكفر أولى حيث جعلوا الله — تعالى — بعض مخلوقاته ، وعبدوا الله — تعالى — وذلك المخلوق فساووا عبدة الأوثان في عبادة غير الله — تعالى — ، وزادوا بالاتحاد والصاحبة والإد

(١) في شعر العرب :

وعلمت أن المستحيل ثلاثة

القول والعقواء والخل الوفي

والقول هي صنف من الجن والشياطين تفعل للناس فتهلكهم ، وقيل هم سحرة الجن ، وهم حقيقة وفي الحديث : « إذا تقولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان » ، والعقواء طائر خرافي عظيم معروف الاسم مجهول الجسم

(٢) آل عمران : ٦٤ .

(٣)

فلا يفيدهم كون الله تعالى خصص كل طائفة من الكفار باسم هو أولى بها في اللغة مدحاً — لا تصويماً — لما هم عليه .

الشبهة الثامنة :

أنه قال : في مدح قرباننا وتواعظنا إن أهملنا ما متعنا به بقوله — تعالى — ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها ونطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إلى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ (١) .

فالمائدة هي القربان الذي يُتقرب به في كل قداس (٢) .

والجواب :

إن من العجائب أن يدعى أن المائدة التي نزلت من السماء هي القربان الذي يتقربون به ، مع أن الذي يتقربون به من مصنوعات الأرض !! ، وأين المائدة من القربان ؟؟ نعوذ بالله — تعالى — من الخذلان ؛ بل معنى الآية أن الله — تعالى — طرد عادته وأجرى سنته أنه متى بعث للعباد أمراً قاهراً للإيمان لا يهتجر للعبد معه الشك ، فمن لم يؤمن به بعد عجل له العذاب ، لقوة ظهور الحجة ، كما أن قوم صالح لما أخرج الله لهم الناقة من الحجر فلم يؤمنوا عجل لهم العذاب ، وكانت هذه المائدة جسماً كينونياً عليه خبز وسمك ينزل من السماء يُفوت القليل منه الخلق الكثير العظيم العدد ، فأمرهم أن يأكلوا ولا يدخروا ، فخالفوا وادخروا فمسخهم الله — تعالى — .

ونزول مثل هذا من السماء كخروج الناقة من الصخرة الصماء ، فأخبر — تعالى — أن من لم يؤمن بعد نزول المائدة عجلت له العقوبة ، ولا تعلق للمائدة بقربانهم البتة ، بل المائدة معجزة عظيمة خارقة ، والقربان أمر معتاد ليس فيه شيء من الإعجاز البتة ، فأين أحد البابين من الآخر ؟؟ ، لولا العمى والضلال .

(١) المائدة : ١١٢ — ١١٥ المائدة .

(٢) انظر الباب الثالث من الفصل الثالث من كتاب « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، للمهتدي عبد الله ابن الترجان الذي كان قسيساً وهداه الله فأسلم فقد فصح فيه هذه النقطة ورد عليها بأناجيلهم كما ذكر صفة القربان وكيف يصنعونه ... إلخ ، وقد يسر الله لنا تحقيق هذا الكتاب لمكبة القرآن بالقاهرة .

الشبهة التاسعة :

ومنها : أنه قال : إن الله — تعالى — أخبر خيراً جازماً أنا نؤمن بعبسى — عليه السلام — بقوله — تعالى — : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾^(١) ، فكيف نتبع من أخبر الله — تعالى — عنه أنه شك في أمره بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٢) ، وأمره في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية إلى صراط مستقيم : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(٣) ، والمنعم عليهم هم النصارى والمغضوب عليهم هم اليهود ، والضالون عبدة الأصنام .

والجواب :

إن النصارى لما لعبوا في كتابهم بالتحريف والتخليط صار ذلك لهم سجية ، وأصبح الضلال والإضلال لهم طوية ، فسهل عليهم تحريف القرآن ، وتغيير معانيه لأغراضهم الفاسدة ، والقرآن الكريم برىء من ذلك ، وكيف يخطر لهم هذه التحكيمات بغير دليل ولا برهان بل بمجرد الأوهام والوسواس .

أما قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ففيه تفسيران : أحدهما : إن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت ظهر لهم منه الإنكار عليه بسبب ما كان عليه من الكفر ، فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه ويؤمن بالحق على ما هو عليه ؛ فإن الدار الآخرة لا يبقى فيها تشكك ولا ضلال ، بل يموت الناس كلهم مؤمنين موحدين على قدم الصدق ومنهاج الحق ، وكذلك يوم القيامة بعد الموت ، لكنه إيمان لا ينفع ولا يعتد به ، وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكناً من الكفر ، فإذا عدل عنه وآمن بالحق ؛ كان إيمانه من كسبه وسعيه فيؤجر عليه ، أما إذا اضطر إليه فليس فيه أجر^(٤) ، فما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بنبوة عيسى — عليه السلام — وعبوديته لله — تعالى — ، قبل موته ، لكن قهراً لا ينفعه في الخلوص من النيران وغضب الديان .

التفسير الثاني : إن عيسى — عليه السلام — ينزل في آخر الزمان عند ظهور المهدي

(٣) الفاتحة : ٧ .

(١) النساء : ١٥٩ .

(٤) وهو مثل فرعون عندما أعلن إيمانه عند الفرق فلم ينفعه .

(٢) سبأ : ٢٤ .

بعد أن يفتح المسلمون قسطنطينية من الفرنج فيكسر الصليب ويقتل الخنزير^(١) ، ولا يبقى على الأرض إلا المسلمون ، ويستأصل اليهود بالقتل ، ويصرح بأنه عبد الله ونبيه ، فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ لإخباره لهم بذلك .

وعلى التفسيرين ليس فيه دلالة على أن النصارى الآن على خير .

وأما قوله — تعالى — : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فهو من محاسن القرآن الكريم ؛ لأنه من تطف الخطاب وحسن الإرشاد ، فإنك إذا قلت لغيرك : أنت كافر فآمن ، ربما أدركه الأنفة فاشتد إعراضه عن الحق ، فإذا قلت له : أحدنا كافر ينبغي أن يسعى في خلاص نفسه من عذاب الله — تعالى — فهل بنا نبحث عن الكافر منا فنخلصه ، فإن ذلك أوفر لداعيته في الرجوع إلى الحق والفحص عن الصواب ، فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر قرّر من الكفر من غير منافرة منك عنده ، ويفرح بإسلامه ويسر منك بالنصيحة .

هكذا هذه الآية سهلت الخطاب على الكفار ؛ ليكون ذلك أقرب لهديهم ، ومنه قول صاحب فرعون المؤمن لقوم موسى — عليه السلام — : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ يَأْقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾^(٢) ، فخصهم أولاً بالملك والظهور لتبسط نفوسهم ، مع علمه بأنه وبال

(١) قلت : انظر :

— صحيح البخارى كتاب البيوع [باب ١٠٢] ، وكتاب المظالم والغصب [باب ٣١] ، وكتاب الأنبياء [باب

[٤٩

— صحيح مسلم كتاب الأيمان [حديث ٢٤٢ : ٢٤٧] .

— الترمذى فى كتاب الفتن [باب ٥٤] .

— سنن ابن ماجه كتاب الفتن [باب ٣٣] .

— المسند [٢/٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٠ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ، ٤٣٧ ، ٤٨٢ ، ٤٩٣ ، ٥٣٨ ،

[٣٨٤ ، ٣٤٥/٣] .

— مسند الطيالسى حديث [٢٢٩٧ ، ٢٥٧٥]

(٢) غافر : ٢٨ ، ٢٩ ، وفى المطبوعة على هامش كتاب الفارق قدّم المؤلف الآية الأخيرة على سابقها ، والصواب

ما ألبتاه .

عليهم وسبب طغيانهم ولم يجزم في ظاهر اللفظ بصدق موسى — عليه السلام — مع قطعه بصدقه ، بل جعله معلقاً على شرط لثلا ينفرهم فيحتجوا عن الصواب ، فكل من صح قصده في هداية الخلق سلك معهم ما هو أقرب لهدايتهم . وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون في حق فرعون : ﴿ فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (١) ، وقوله لمحمد صلوات الله عليهم أجمعين : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ (٣) ، فهذا كله من محاسن الخطاب ، لا من موجبات الشك والارتياب .

وأما أمره — تعالى — لمحمد — عليه السلام — ولأتمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم فلا يدل على عدم حصول الهداية في الحال ؛ لأن القاعدة اللغوية أن الأمر والنهي والدعاء والوعد والوعيد والشرط وجزاءه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضي والحاضر ، فلا يطلب إلا المستقبل ؛ لأن ما عداه قد تعين وقوعه أو عدم وقوعه فلا معنى لطلبه ، والإنسان — باعتبار المستقبل — لا يدري ماذا قضى عليه ، فيسأل الله العظيم الهداية في المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة ، كما أن النصراني إذا قال : اللهم أمتنى على ديني لا يدل على أنه غير نصراني إلى وقت الدعاء ، ولا أنه غير مصمم على صحة دينه ، وكذلك سائر الأدعية .

وأجمع المسلمون والمفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود ، وأن الضالين هم النصراني ، فتبديل ذلك — بما قاله — مصادمة ومكابرة ومغالطة وتحريف وتبديل ، فلا يُسمع من مدعيه .

الشبهة العاشرة :

ومنها أنه قال : ليس من عدل الله تعالى أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا ، ولا وقفنا على كتابه بلساننا .

والجواب : أنه — عليه السلام — لو لم يُرسل إليهم — فليت شعري — ما كتب

(١) طه : ٤٤ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) العنكبوت : ٤٦ .

إلى قيصر هرقل ملك الروم^(١) ، وإلى المقوقس^(٢) أمير القبط يدعوهم إلى الإسلام ،
ولولا ذلك لم يسלט السيف على النصرانية إلى اليوم ستمائة سنة :

وليس يقر في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

الشبهة الحادية عشرة :

ومنها : أنه قال : لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن والروح القدس لما أنكروا
علينا ؛ فإن مرادنا بالأب : الذات ، وبالابن : النطق الذى هو قائم بتلك الذات ، وروح
القدس : الحياة ، الثلاثة إله واحد ، وهذه الثلاثة يعتقدونها المسلمون ، ونحن لم نطلق
ذلك من قبل أنفسنا ، بل فى الإنجيل قال عيسى — عليه السلام — : « اذهبوا إلى سائر
الأمم وعمدوها باسم الآب والابن والروح القدس » ، وفى أول القرآن : بسم الله
الرحمن الرحيم ... ، فاقصر على هذه الثلاث : الآب والابن وروح القدس .

ونريد بقولنا : « المسيح ابن مولود من الله تعالى » فلا حدث قبل الدهور وأنه لم
يزل نطقاً ولم يزل الله تعالى ناطقاً ، ثم أرسل الله — تعالى — نطقه من غير مفارقة
الأب الوالد له ، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له ، وكما يرسل
الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له ، فتجسم النطق إنساناً من الروح
القدس ومن مريم — رضى الله عنها — ، ووُلد منها بالطبيعة البشرية لا بالإلهية ، فإذا
قلنا : المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية ، وأن له ولداً من صاحبة ، وقد أثبت
القرآن الولد بمعنى النطق كقوله تعالى : ﴿ ووالد وما ولد ﴾^(٣) .

وسبب تجسيم كلمة الله — تعالى — إنساناً أن الله تعالى لا يخاطب إلا بحجاب ؛
لأن اللطائف لا تظهر إلا فى الكنائف ، فظهر فى الإنسان لأنه أشرف خلقه كما خاطب

(١) كتاب النبي إلى قيصر انظر :

— صحيح البخارى كتاب الجهاد [باب ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٢] . وكتاب التفسير سورة آل عمران [باب ٤] .

وكتاب أخبار الآحاد [باب ٤] ، وكتاب التوحيد [باب ٥١] .

— سنن أبى داود كتاب الحدود [باب ١١٨] .

— الترمذى كتاب الاستئذان والآداب [باب ٢٤] .

— طبقات ابن سعد [ج ١/قسم ٢/ص ١٦ : ج ٤/١٨٥] .

— المسند [١/٢٦٢ ج ٣/١٣٣ ، ٤٤١ ، ٧٤/٤ ، ٧٥] .

(٢) طبقات ابن سعد [١/١٦/٢] .

(٣) البلد : ٣ .

موسى — عليه السلام — من العوسجة^(١) ، ففعل المعجز بلاهوته^(٢) وأظهر المعجز بناسوته^(٣) ، والفلعان للمسيح — عليه السلام — كما تقول : زيد ميت بجسده باق بنفسه ، ولذلك صُلب الناسوت دون اللاهوت .

كما أن الحديدية المحمّاة يُطرق حديدتها أو يُقطع دون ناريتها .

وكذلك سمى القرآن عيسى — عليه السلام — روح الله^(٤) وكلمته^(٥) واسمه عيسى ، فيكون الخالق واحداً وهو الآب ونطقه وحياته ، ولا يلزم تعددها تعدد الخالقين ، كما تقول : الخياط خَيَّط الثوب ، ويد الخياط خيَّط الثوب ، ولا يلزم أن يقال : خَيَّط الثوب خياطان ، بل خياط واحد ، كذلك قولنا : الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد ، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة ، كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناس^(٦) .

والجواب : أما قوله : « نريد بالآب : الذات ، وبالابن : النطق ، وبروح القدس : الحياة » فلا كفر فيه ، وإنما الاطلاق منكر .

وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئاً يُعتمد عليه ، ولا هو مضبوط النقل ولا مضبوط العين ، ولا يوثق بشيء منه في الدين ، وقد تقدم ذلك في تناقضه ، وأما ما في القرآن من : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فتفسيركم له غلط وتحريف ، كما فعلتم في الإنجيل ؛ لأن « الله » — تعالى — عندنا في البسملة معناه : الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال ، و « الرحمن الرحيم » : وصفان له سبحانه — وتعالى — باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته ، فإن صفات الله — تعالى — منها سلبية نحو : « الأزلى » أى لا أول له ، و « الصمد » : أى لا جوف له ... ، ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهى سبعة :

١ — العلم .

٢ — الإرادة .

(١) هذا في التوراة وليس من القرآن ، والعوسج نوع من الشجر طيب الرائحة .

(٢) أى بخاصته الإلهية .

(٣) أى بخاصته الإنسانية الآدمية .

(٤) ، (٥) النساء : ١٧١ .

(٦) قلت : لماذا لم يقل عقل الإنسان ونطقه وحياته وإحساسه وإبصاره وتدوقه ستة ، أعنى لماذا أقصر على

ثلاث صفات فقط ؟؟؟؟

- ٣ - القدرة .
- ٤ - الحياة .
- ٥ - الكلام .
- ٦ - السمع .
- ٧ - البصر .

ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامها به نحو : الرزق والهبات والخلق والإحسان ، قسميته « الرازق » ، « الوهاب » ، « الخالق » ، « المحسن » باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قديمة بذاته ، « فالرحمن » معناه : المحسن في الدنيا والآخرة الخلقه بفضلته والرحيم معناه المحسن في الآخرة خاصة لخلقته بفضلته ؛ ولذلك يقال : « يارحمن الدنيا والآخرة ويارحيم الآخرة » ، « فالرحمن » ، « أبلغ من « الرحيم » لشموله الدارين ، وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما في « الرحمن الرحيم » بل هو تحريف منه للقرآن ، وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حُرِّم هذا الإطلاق ، فإن إطلاق الموهومات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله - تعالى - وليس هو عندكم ، فكنتم عصاة بهذا الإطلاق .

وأما قولكم : « أن النطق مُوجد » فغلط ، فإن « المُوجد » إنما هو : القدرة دون غيرها .

وكل صفة من صفات الله - تعالى - لها خاصية لا توجد لغيرها :
، فالقدرة : تُوجد .

والإرادة : تُخصَّص الممكن بأزمانه وأحواله .

والعلم : يكشف الممكنات والواجبات والمستحيلات على ما هي عليه .

والسمع : إدراك يختص بالكلام النفسى والصوت اللسانى .

والبصر : إدراك خاص يختص بالموجود دون المعدوم ، بخلاف العلم فإنه يعمها .

والكلام النفسى - الذى هو النطق - : يكون منه الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير ، فلا يجوز أن يُعتقد أن الإيجاد إلا للقدرة ليس إلا .

والبراهين على هذه المطالب في كتبنا الكلامية ، ليس هذا موضعها .

وقوله : « وتُرِيدُ بِنُورِ الْمَسِيحِ وِلَادَتَهُ مِنْ اللَّهِ - تَعَالَى - بِلَا حُدُثٍ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ نَطْقًا ، وَلَمْ يَزَلْ اللَّهُ - تَعَالَى - نَاطِقًا » ... قلت : هذا كلام غير معقول أصلاً إلا

على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر ، وتقريره : إن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى ، وقد سلمتم ذلك فهو من المعاني لا من الأجسام ، بل هو كالعلم والحياة والإرادة ، فإن أردتم أن عيسى — عليه السلام — المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذى يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان ، فضلاً عن كونه لم يزل كذلك ، كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً ، والعلم يكون طعاماً ، والرائحة تكون لوناً ، وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً ، فهذا التفسير غير معقول ولا متصور ، وإن أردتم أنه لم يزل نطقاً أى لم يزل الله — تعالى — يخبر عن وجود عيسى — عليه السلام — في أزله ، فهو صحيح مقصود ؛ لأن خير الله — تعالى — يتعلق بجميع الأشياء (الموجودات والمعدومات ، الماضيات والحاضرات والمستقبلات) ، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود ، فإن خير الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى — عليه السلام — يتعلق بوجود كل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل ، ولم يزل كل واحد من اليهود نطقاً بهذا التفسير فينبغى أن يكون كل واحد من اليهود ابناً لله — تعالى — ، ولا مزية لعيسى على أحد من اليهود في ذلك ، بل ولا على أحد من الحشرات .

وإن أردتم تفسيراً ثالثاً فقولوه ، فإنه غير معقول من قولكم : « لم يزل المسيح — عليه السلام — نطقاً » ، فظهر أن أحد الأمرين لازم وهو : إما إبطال مذهب النصارى ، أو : يكون كلامهم غير معقول ، فضلاً عن إقامة الدليل عليه فإنهم لا يتكلمون إلا بكلام مثل هذا لا ليتحصل منه شيء .

قوله : « ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة » .. هذا غلط وعمى وعدم بصيرة ، فإن إرسال الشيء اتصاله بغيره المبين له ، وهو غير معقول في كل صفة من الصفات (النطق وغيره) ، فيستحيل إرسال الألوان والطعوم والروائح والعلوم والظنون إلا مع انتقال محالها ، أما بمفردها فمحال ببديهة العقل ، ومن شك في ذلك فليس بعاقل ، ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال ، فإنه ليس بجسم باتفاق الفريقين .

وأما « إرسال الشمس لضوئها » : فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير ، بل الله — تعالى — يخلق الأنوار والأضواء في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض ، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر ،

وغير الضوء القائم بجرم الشمس ، فهنا صفات عديدة وموصوفات كثيرة ، لم يرسل منها صفة واحدة بل كل صفة لازمة محلها لم تفارقه .

فإن أردتم : أن الله تعالى خلق في عيسى — عليه السلام — نطقاً بما طلبه الله تعالى من العباد أو غيره ، فكذلك سائر الأحياء — عليهم السلام —، بل العلماء والمشرعون كذلك خلق الله تعالى في نفوسهم الأخبار عن أحكامه تعالى ، فإن كان عيسى عليه السلام بهذا ابناً فالعلماء كلهم كذلك ؛ وإلا فلا أحد من خلق الله تعالى ابناً وهو الحق .

وأما إرسال الإنسان كلامه لغيره عن فكره فذلك :

(أ) إما بالكتابة : فالمرسل حينئذ أجسام ورقوم سود في أجسام بيض ، ونطقه القائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه .

(ب) وإما أن يوصى من يجبره بمقاصده مشافهة ، فهو صوت صدر على لسانه سمعه رسوله فقال هذا الرسول أصواتاً لذلك الغير ، والأصوات من خواص الإنسان وقصبة الرئة لا تكون إلا في الأجسام ، لذلك أكلناها على الله تعالى لأنه ليس بجسم ، بل الثابت لله تعالى إنما هو الكلام النفسى الذى ليس بأصوات ، والأصوات دالة عليه : وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسى ولا انصوتى ، بل النفسى قائم بنفسه والصوتى سمعه رسوله ، وعَدِمَ لحيته لم يأخذه الرسول معه ، فعلم أن هذا التمثيل غير مطابق لدعواكم بل جهل بالحقائق وأحكامها وما هى عليه .

فإن قلتم : إن الله — تعالى — أمر عيسى — عليه السلام — فقال ما يدل على أحكام الله — تعالى — للخلق ، فهو والأنبياء سواء في ذلك فلا معنى لاختصاصه بالنبوة . وقوله : « فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم — رضى الله عنها — .. إلى آخر كلامه » .

قلت : هذا موضع الخبط والجهل والكفر وعدم الإنسانية بالكلية ، كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسماً ؟؟ ، وذلك كقول القائل : الألوان والطعوم والروائح صارت جَمالاً وبراذين^(١) ، فمن قام به لون قام به برذون ، ومن قام به رائحة قام به جمل أو فرس ، وكيف يتخيل عاقل أن المعانى تنقلب أجساماً مع أن المعانى مفتقرة للمحال لذاتها ، والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها ، فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنياً

(١) البرذون : البهل .

لذاته !!! ، وذلك كإنتقال الممكن واجباً لذاته ، والزواج فرداً ، والفرد زوجاً ، والسواد بياضاً .. ، فإن كنتم تجوزون هذا كله وليس لكم من العقول ما تدركون به هذه الأحكام — وهو الظن بكم — سقطت مكالمتكم ؛ لأن الكلام مع البهائم عبث وسفه ... ، وإن كنتم تعقلونها فارجعوا عن قولكم : « تجسم النطق الرباني في عيسى ابن مريم » ، واعترفوا ببطلان البنية المبنية عليه ، وإن عيسى — عليه السلام — فيه وجهان واعتباران : هو من وجه إله ، ومن وجه إنسان ... ، فالآفات والصلب ترد على الوجه الإنساني ، ويصير هذا الكلام كله كفرةً وجنوناً ؛ لأن المبنى على الأصل الفاسد فاسد .

قوله : « إن القرآن الكريم أثبت هذه البنية بقوله تعالى : ﴿ ووالد وما ولد ﴾ » . قلت : هذا افتراء على الله — تعالى — وعلى كتابه وعلى المسلمين ، إنما أقسم الله — تعالى — بآدم وذريته ، فليس للنصراني أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه .

قوله : « وسب تجسم الكلمة أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف كما خاطب الله موسى — عليه السلام — من العوسجة » .

قلت : هذا أيضاً من جهالات النصرانية ، فلم قلتم أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف ؟؟ ، بل يجوز أن يخلق الله — تعالى — لنا علماً ضرورياً لكل لطيف على ما هو عليه ، من غير أن يحل ذلك اللطيف في غيره ولا يتحد بسواه ، كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلام بدلالة صنعته عليه قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث في زمن عيسى عليه السلام ، ويلزم النصراني في هذا المقام أمور شنيعة أما بطلان مذهبهم إن صح ظهور اللطيف مع الغنى عن الكثيف ، أو يكون [أبو] الخلائق آدم — عليه السلام — وغيره من الأنبياء — عليهم السلام — وجميع الخلائق لم يظهر لهم من صفات الله — تعالى — وكال ذاته شيء قبل عيسى — عليه السلام — ، إن لم يكن قبله اتحاد ؛ لأن هذا الاتحاد شرط للظهور عندهم ، وإن كان الظهور حاصلًا قبله كان الاتحاد الحاصل لعيسى — عليه السلام — حاصل لجميع الخلائق العالمين بالله — تعالى — وبصفاته ، وللذين ظهرت لهم الصفات الربانية والمعارف الإلهية ، وحينئذ لا اختصاص لعيسى — عليه السلام — ؛ ولا مزية له حتى يجعل ابن الله تعالى دون الناس أجمعين .

ولم يتحد الكلام لموسى — عليه السلام — بالعوسجة ، بل سمع كلام الله — تعالى — وهو قائم بذاته ، وقد تقدم استهالة مفارقة الصفة للموصوف ، فكيف ينتقل كلام الله — تعالى — للشجرة حتى يسمعه موسى — عليه السلام —؟؟ ، فهذا أيضاً من الافتراء على قصة موسى — عليه السلام — .

ومن أين للنصارى عقل يفهمون به أفعال الأنبياء — عليهم السلام — في دقائق الملكوت وعجائب أسرار الربوبية ، مع أنهم جهلوا أحكام المعاني ، وجوزوا عليها أن تكون أجساماً ، ولذلك عدلت عن بيان كيفية سماع موسى — عليه السلام — لكلام الله — تعالى — وهو قائم بذاته بغير حرف ولا صوت ، وهو مبسوط في كتبنا الكلامية ، وقد ذكرته مستوعباً في « شرح الأربعين للإمام فخر الدين » فمن أرادَه نظره هناك ، وبهذا التقرير يظهر فساد تمثيلهم بالحديده والخياط ، فإن ذلك فرع تجسد المعنى وانتقاله للناسوت وقد ظهر بطلانه .

وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى — عليه السلام — روح الله وكلمته فقد تقدم الجواب عنه .

قوله : « الله وكلمته وروحه إله واحد ، فلا يلزمنا القول بثلاثة آله ، كما تقول : الإنسان وعقله وحياته ثلاثة وهو إنسان واحد » .

قلنا : بل يلزمكم لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح — عليه السلام — فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة ، والله يستحق العبادة لذاته من غير أن ينتقل له من غيره شيء ، والروح القدس الذى هو الحياة ، ونحن ننكر عليكم هذا الإطلاق أيضاً لما فيه من إيهاً بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى ، وتقولون في صلاتكم : « والروح القدس مساو لك في الكرامة » ، ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع فلکم ثلاثة آله بالضرورة .

وزاته في الإنسان أن تعتقد أن عقله قد انتقل للجمل فاستحق تعظيماً كتعظيم الإنسان لأجل ما انتقل ، وروحه أيضاً تستحق تعظيم الإنسانية ، والإنسان في نفسه يستحق تعظيم الإنسانية ، فيكون لنا ثلاثة أناس جزماً ، وإنما كان الإنسان واحداً لأن صفاته لم تعداه ولم تعدل صفة من صفاته ذاته في التعظيم ، بل المعظم واحد وهو

الإنسان لما اشتمل عليه من كمال العقل وجميل الصفات ، فكان ينبغي للنصارى إذا قصدوا هذا المعنى أن يقولوا كما قال المسلمون : المعظم باستحقاق العبادة والعبودية واحد ، وهو الله تعالى ؛ لكمال صفاته وشرف ذاته ، وليس شيء من صفاته مستحق للعبادة كان منتقلاً لوجود الانتقال ، أو كانت الصفة قائمة بذاته ، ولا يستحق للعبادة الموجبة للألوهية إلا ذات واحدة موصوفة بصفات الكمال ، لا شيء من صفاتها ولا غير صفاتها ، فهذا هو التوحيد المحقق الذى عليه المسلمون .

أما النصارى فاعتقدوا استحقاق العبادة للذات وبعض الصفات ومن حل فيه بعضها ، فكانوا قائلين بتعدد الآلهة بالضرورة ؛ فلا معنى لقولهم أن هذا لا يلزمنا ، إنما لا يلزمهم ذلك إذا قالوا : المسيح — عليه السلام — لا يستحق العبادة ولا نصلى له ولا نعبده ومن عبده كفر ، لأنه عبد من جملة خلقه حلت فيه صفته ، فهو غير الله تعالى ... [وَمَنْ عَبَدَهُ] فهو مشرك ، بل من عظم صفة من صفات الله تعالى (علمه ، أو كلامه ، أو حياته ، أو سمعه ، أو بصره) تعظيم الله تعالى ؛ فهو كافر مشرك مع الله غيره قائل بتعدد الآلهة ، فلا معنى لإنكار ذلك منهم .

ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الإله ولا أى شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية ، فلذلك عبدوا ثلاثة آلهة وهم لا يشعرون !! ، فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل ، ثم يقتل ، ثم ينكر على من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلظه !! ، فينبغى لهذه الطائفة النصرانية أن تبكى وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكى على فقد الدين ، فإذا وهبها الله — تعالى — عقلاً سألت عن حقيقة الألوهية حتى تعلمها بحدودها وشروطها وخصوص ماهيتها ، وما يجب للألوهية وما يستحيل عليها ، وأى شيء إذا فقد لا يكون المحل مع هذه إلهاً ، وإذا علمت هذه الأمور كلها — كما علمها المسلمون — استيقظت من سكر جهلها ، وظهر لها أنها تعبد ثلاثة آلهة وأن المتعين ألا يُعبد إلا إله واحد .

فإن قالوا : نحن لا نعبد المسيح — عليه السلام — ولا نعظم الكلمة تعظيم العبادة ولا نصلى لها — حلت الكلمة أم لا — ولا يستحق العبادة إلا الله وحده دون صفاته العلا ، فصفات الله واجبة الكمال لموصوفها وهي قديمة باقية يجب لها التنزه — حلت أم لا — ؛ فهذا حق لا ننكره عليهم ويكونون موحدين ، وإنما يبقى الإنكار فى القول بالحلول والاتحاد — على اختلاف مذاهبهم — وجحد النبوة ، فهذه الطريقة نكفهم

لا بتلك إن صرحوا بما ذكرته ، والمصرح بهذا هم النسطورية^(١) دون اليعاقبة^(٢) والملكانية^(٣) ، وهم أقرب النصارى إلى الصواب ، وليس للمسيح — عليه السلام — عندهم ميزة على سائر الأنبياء إلا أنه أفضلهم فقط ، كما نقول نحن أن محمداً — عليه الصلاة والسلام — أفضلهم .

الشبهة الثانية عشرة :

ومنها أنه قال : إذا احتجنا ببعض القرآن لا يلزمنا بقيته ؛ لأنه كمكتوب أخرجته صاحب الدين بمائة دينار وفيه مكتوب أنه قد وفا ، فإن ذلك لا ينفع المديون .

الجواب عليها :

قلنا : هذا التمثيل غير مستقيم ، فإن كتاب الدين إن كانت البيعة فيه على القبض والوفا نفع المديون ، وإن كانت البيعة على القبض دون الوفا فهذا هو الذى لا ينفع .
وبيانه : صحة القرآن هي المعجزة الدالة على عصمة الرسول — عليه الصلاة والسلام — والمعصوم كلامه كله حق وصدق فهو كالمكتوب الذى فيه البيعة على القبض والوفا ؛ [فيحتج] بجميع ما فيه .

(١) يسون إلى نسطور وقد كان بطريركا بالقسطنطينية ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد إلهاً بل ولدت فقط الإنسان ، ثم لقد الإنسان بعد ذلك بالأنثوم الطال ، وليس ذلك الاتحاد بالزوج وجعلهما شيئاً واحداً ، أو ذلك الاتحاد ليس اتحاداً حقيقياً بل اتحاداً مجازياً . لأن الإله منحه احيية ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن ، وهذا التخرج ولا شك يؤدي إلى أن المسيح الذى خاطبهم وكلمهم ، وحوكم وعوقب في ذمهم — لم يكن فيه عصر انتهى قط فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله وفي مجمع أفسس سنة ٤٣١ م اجتمع النصارى وقرروا لن نسطور وطرده فأبعد ونفى حتى وصل مصر وأقام في أخميم إلى أن مات . [محاضرات في النصرانية . للشيخ أبو زهرة ص ١٦٥ ، ١٩٢] وانظر أيضاً [إغالة الفهان لابن القيم ٢٧٤/٢ — ٢٧٦] .

(٢) اليعاقبة : هم أتباع يعقوب البرادعي ويقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة امتزج فيه عصر الإله بتعصر الإنسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب البرادعي لأنه من أنشط الدعاة إليه لا لأنه مبتدعه ومعشوه ، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا ، وأول من أعلن هذا المذهب بطريرك الأبيكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي .

[انظر محاضرات في النصرانية ، للشيخ محمد أبو زهرة ٢ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٤] .

(٣) أصحاب ملكا الذى ظهر بالزوم بزوم بقاء الطلث مع وجود اتحاد الله بمجد المسيح وامتزاجه به ، وأطلقوا لفظ البنية على المسيح والأبوة على الله ، وسلي إن شاء الله ضمن هذا الكتاب في السؤال الثامن عشر من الباب الثالث تعريف المصنف — أعنى القراني — بهذه الفرق واعتقادها ، فليراجع في موضعه .

obeikandi.com

بمُنْكَر !!؛ لأن الموجودات منحصرة في : الجواهر والأعراض ، ولأن الموجود إما :

١ - غير مفتقر في الوجود إلى غيره (وهو الجوهر) .

٢ - أو مفتقر في وجوده إلى غيره (وهو العَرَض) .

ولا وساطة في قولنا مفتقر في وجوده وغير مفتقر ، ويستحيل عليه تعالى أن يكون عَرَضًا ، فيتعين أن يكون جوهرًا لضرورة الحصر فيهما .

وأما قول المسلمين : « إن الجوهر هو الذي يقبل العرض فيشغل الحيز فيستحيل إطلاقه على الله - تعالى - » ؛ فليس كذلك ، بل الذي يشغل الحيز ويقبل العَرَض هو الجوهر الكثيف ، أما اللطيف كالضوء والنفس والعقل فلا .

الجواب على هذه الشبهة :

قلنا : هذا كلام من لا يعلم الجوهر ولا يعرف العَرَض ، ولا يضبط علماً من العلوم [كهذا النصراني]^(*) فإن هذه خصيصة لهم ، أما ما يفتقر في وجوده لغيره فهو الممكن ، وما لا يفتقر لغيره بوجه من الوجوه فهو الواجب ، فهذا تفسير الواجب والممكن لا تفسير الجوهر والعَرَض ، فأين أحد البابين من الآخر ، بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر في وجوده إلى غيره ، فتبرع للنصارى الآن بتفسير هذه الحقائق فنقول :

الجوهر : هو المتحيز لذاته الذي لا يقبل القسمة ، فقولنا « لذاته » اختراز من العَرَض فإنه متحيز لأجل قيامه بالجواهر ... ، وقولنا : « لا يقبل القسمة » اختراز من الجسم فإنه يقبل القسمة ، فالجسم هو المتحيز لذاته الذي يقبل القسمة ، وقد ظهرت فائدة هذه القيود مما تقدم .

والعَرَض : هو المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به ، لا أنه يفتقر إليه في وجوده ، بل وجود العَرَض وغيره من الله تعالى .

إذا تقرر هذا ظهر خطئهم في إطلاق لفظ الجوهر على الله - تعالى - ، فظهر بطلان تفسيرهم للجوهر والعَرَض ، بل على تفسيرهم للعَرَض يلزم ألا يكون القابل للعَرَض والشاغل للحيز جوهرًا ؛ لأن وجوده من الله - تعالى - ، بل الله - تعالى - هو خالق المتحيزات وغيرها .

(*) في الأصل : كأنه نصراني .

ومن العجيب قوله : « إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيزاً ولا يقبل عرضاً » ، ثم مثَّله بالنفس والعقل والضوء .

أما النفس : فإنها متحيزة وهي تقوم بها الأعراض لأنها تقوم بها العلوم والظنون والاعتقادات والآلام واللذات وغير ذلك ، وكلها أعراض نفسانية ، لكن لا يعرف حقيقة العرض ؛ فلذلك نفى الأعراض عن النفس .

وكذا العقل يقوم به الفكر والعبر والعلوم والمعارف وغيرها ، وهي أعراض .
وأما الضوء : فعرض يقوم بجواهر الهواء ، ليس من الجواهر في شيء ، وهو يعتقد أنه جوهر فمثَّله به !!

فحديث النصارى كله عجب !!؛ حتى لو وجد عندهم صواب كان عجباً !!

الشبهة الخامسة عشرة :

أنه قال : الله له عدل وفضل ، وهو — سبحانه وتعالى — يتصرف بهما ، فأرسل موسى — عليه السلام — بشريعة العدل لما فيها من التشديد ، فلما استقرت في نفوسهم وقد بقي الكمال الذي لا يصنعه إلا أكمل الكملاء وهو الله — تعالى — ، ولما كان جواداً تعين أن يجود بأفضل الموجودات ، وليس في الموجودات أجود من كلمته* — يعني نطقه** — ، فجاد بها واتحدت بأفضل المحسوسات — وهو الإنسان — ، لتظهر قدرته ، فحصل غاية الكمال ولم يبق بعد الكمال إلا النقص .

الجواب عن هذه الشبهة :

قلنا : أما شريعة موسى — عليه السلام — فكانت عدلاً وفضلاً وقَلَّ أن يقع في العالم عدل مجرد ، وإنما وقع ذلك لأهل النار خاصة ، كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة .

وتقرير هذا الباب : أن كل جود وإحسان فهو من فضل الله — تعالى — وجود لا يجب عليه فعله ، فما عرى عن الخير والإحسان البتة فهو العدل المحض ؛ لأن الملك ملكه ، والتصرف في الملك المملوك — كيف كان — عدل ليس بظلم ، وإنما يكون الظلم في مملوك الغير ، فإن وقع الخير المحض فهو التفضيل المحض ، وهذا

(*) ، (**) يعني المسيح — عليه السلام — .

هو شأن أهل الجنة .

إذا تقرر هذا فشرعية موسى — عليه السلام — كان فيها من الإحسان أنواع كثيرة فتلك كلها فضل ؛ كتحريم القتل والعصّب والزنا والقذف والمسكر من الخمر المغيبة للعقول ؛ وإنما أباح اليسير الذي لا يصل إلى حد السكر^(١) ، وكإباحة الفواكه واللحوم والزواج وغير ذلك ، وهذه كلها أنواع من الفضل ، ثم أن عيسى — عليه السلام — جاء مقرراً لها وعاملاً بمقتضاها ومستعملاً لأحكامها ، ولم يزد شيئاً من الأحكام ، وإنما زاد المواعظ والأمر بالتواضع والرفقة والرأفة ، فلم يأت عيسى — عليه السلام — بشرية أخرى حتى يقال إنها الفضل ، بل مقتضى ما قاله أن تكون شريعة الفضل هي شريعتنا ؛ لأنها هي الشريعة المستقلة التي ليست تابعة لغيرها ولا مقلدة سواها ، وهذا هو اللائق بمنصب الكمال أن يكون متبوعاً لا تابعاً ، فهذه الحجة عليه لا له .

ثم قوله : « لا يصنع الأكمل إلا هو سبحانه » ، فهو باطل ؛ لأنه لا حجر عليه — سبحانه — في ملكه ، فيأمر بعض خلقه بوضع الأكمل ، ويرسل الناس بأوامر وشرائع هي غاية في جلب المصالح ودرء المفسد ، كما هي شريعتنا المعظمة .
ثم قوله : « الله — تعالى — جواد فجاد بأعظم الموجودات وهي كلمته ، فجعله متحداً ، فأفضل المحسوسات وهو الإنسان » [وهذا القول] باطل لوجوه :

أحدها : أن الجود بالشيء فرع إمكانه ، فإن الكرم بالمستحيل محال ، فينبغي أن يبين أولاً تصور انتقال الكلام النفسى من ذات الله — تعالى — إلى مريم — رضى الله عنها — ، ثم يقيم الدليل على وقوع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه ، وقد تقدم بيان استحالة ذلك .

ثانيها : سلمنا أنه ممكن ، لكن لِمَ قلتم إن الكلام هو أفضل الموجودات ؟؟ ، ولم يكن العلم أفضل الموجودات ؟؟ ، ولم لا يكون العلم أفضل منه لأن الكلام تابع للعلم ؟؟

ثالثها : أن الذات الواجبة الوجود التي الصفات قائمة بها أفضل من الصفات ، لأن الصفات تفتقر للذات في قيامها ، والذات لا تفتقر للمحل بخلاف الصفات .

(١) هذا في شريعة اليهود ، وليس في شرعنا ، فإن كل ما كان كثيره مسكراً فقليله حرام في شرع الإسلام الخفيف .

رابعها : أنهما صفتان من الصفات ، والصفات بجملتها مع الذات أفضل من الكلام وجده ، ولم يقل أحد باتحاد هذا ، فالأفضل لم يحصل حينئذ .
ولما كان كلام النصراني نوعاً من الوسواس اتسع الخرق عليه والرد ، فإننا نبين أن صفة الكمال والجود والفضل ظهرت في شريعتنا أكثر من جملة الشرائع وبيانه من وجوه :

أحدها : أن معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها ، فوقع الخطب في تلك الشرائع بعد طول المدة وموت الفرقة الذين شاهدوا المعجزات ، وجاء قوم لم يشاهدوا نبياً ولا معجزة فطغوا وبغوا وضلوا وأضلوا ، ودُثرت تلك الشرائع بهذا السبب ، فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض ، ومعجزة شرعنا هي القرآن الكريم بوصفه ونظمه وما اشتمل عليه من المغيبات ، وحلاوة السماع حلاوة لا يخلقها* الآباد ولا يسأمها أحد بالترداد ، ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة مسطورة في كتب هذا الشأن ، واحدة منها كافية ، فكيف بالجميع !!؟؟ ، وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف والأبناء بعد الآباء فلا يزيد الإسلام ، إلا قوة ، ولا الإيمان والتوحيد إلا جِدَّة ، والله الحمد على ذلك ، فتمت المصلحة واستمرت ، ودحضت الضلالات ودثرت ، فهذا هو الكمال الأشرف والفضل المنوّف** .

وثانيها : أن كل نبي بُعث إلى قومه خاصة ، ومحمد — ﷺ — بُعث للثقلين الإنس والجن^(١) على اختلاف أنواعها ، وبيان ذلك أن أكمل الشرائع المتقدمة التوراة مع أن موسى — عليه السلام — لم يبعث إلا إلى بنى إسرائيل ، ولما أخذ من مصر وعبر البحر لم يعد لمصر ولا وعظ أهلها ولا عرج عليهم ، ولو كان إليهم لما أهملهم ، بل إنما جاء لفرعون ليسلم له بنى إسرائيل فقط^(٢) ، فلما انقضى الغرض أهملهم ولم يعد لمصر البتة ، وإذا كان هذا حديث موسى — عليه السلام

(*) خُلِقَ الثوب أى : بئلى ، ومثله كلمة : أخلق أى أبلى .

(**) المنوّف : أى الزائد .

(١) انظر رسالة « إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين » ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ص ٩ [فما بعدها .

(٢) قال سبحانه وتعالى لموسى وهارون : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أن أرسل معنا بنى

إسرائيل ﴾ [الشعراء : ١٦ — ١٧]

فغيره أولى ، وقد أخبرنا سيد المرسلين بذلك ، لا شك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل ، وهو المطلوب .

وثالثها : أن هذا الأمة خير أمة أخرجت للناس ، فتكون شرائعها أفضل الشرائع ، أما أنها أفضل فلقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(١) ؛ ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف في ملة من الملل حتى إن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب^(٢) في المجلدات العديدة المتباينة ، ولعله لا يوجد في شريعة الإسرائيليين كلهم من النصراني واليهود من التصانيف مثل هذا العدد فيكون العالم منا قدر شريعتهم بجملتها وكم فيها من عالم ، ولأن العلوم القديمة كلها إنما تحررت فيها من الحساب والهندسة والطب والموسيقى والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وجددت هي علوماً لم تكن لغيرها من النحو ، واللغة العربية البديعة ، وبسط وجوه الإعراب الذي صنفت فيه الدواوين العظيمة ، وعلوم الحديث على اختلاف أنواعها ، وعلوم القرآن على سعتها ، وعلوم العروض والشعر والنظم وغير ذلك من العلوم الخاصة بها ، وهم أولى بعلوم غيرهم لتخليصها وإظهار بهجتها ، وإزالة فاسدها عن صحيحها ، وبسطها بعد قبضها عن غيرها ، فصار علم الوجود منحصراً فيها أولاً وأخيراً فتكون أفضل ، ولأن ما وهبه الله — تعالى — لهم من جودة العقل وقوة الإدراك وتيسير ضبط العلم لم يحصل لغيرها ، مضافاً لقوة الحفظ وجودة الضبط الذي لم يُنقل عن أمة من الأمم وهو دليل كثرة علومها ولولا ذلك لم تكثر العلوم فيها ولها .

وأما أنها إذا كانت أفضل الأمم تكون شريعتنا أفضل الشرائع ؛ فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها واتباع نبيها — عليه السلام — ، ومتى كانت الثمرة أفضل كان المثمر أفضل .

ورابعها : أن الله — تعالى — جعل عبادة هذه الأمة في هذه الشريعة على نسق الملائكة — عليهم السلام — تسويةً بين الملائكة وهذه الأمة في صفة العبادة ، فكل

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) منهم مثلاً الحافظ جلال الدين السيوطي الذي قال : « لو سُئِلت في أي مسألة لصنفت فيها كتاب ، وبكفيه فخرًا موسوعته جمع الجوامع ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر حتى أنه لسرعته في التأليف كان قلمه يجري بوصول الكلمات من أول السطر إلى آخره فلا يرفع القلم إلا بانتهاء السطر أو بجفاف المداد .

الأمم يصلون همجاً من غير ترتيب إلا هذه الأمة تصلى صفوفاً كما تصلى الملائكة ؛ لقوله تعالى — إخباراً عن قول الملائكة : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمَسْبُوحُونَ ﴾^(١) ، والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها ، فشريعتنا أفضل الشرائع .

وخامسها : إن سائر الأمم أُمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشيطانية فقط ، وهذه الأمة^(*) أمروا بذلك وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر بالوضوء والغسل واجتناب النجاسات والقاذورات ، ... [بينما يقف] الراهب يناجى ربه ويمثل بين يديه لخطابه والعدرة^(**) قد تحجرت على سوائه والقاذورات قد غلبت على أطرافه وسحته^(***) ، حتى لو وقف ذلك الراهب قدام شيخ الضيعة^(٢) لمقته وقبح حالته فكيف بملك الملوك ورب الأرباب؟!^(٣) ، وأمر المسلم إذا ناجى ربه أن يكون نقى الباطن نظيف الظاهر حسن الهيئة مستقبلاً أفضل الجهات^(٤) ملازماً للسكينة والوقار تاركاً للعبث والنفار ، فكل حالته هي إعلام بعمل مع أفضل الملوك .

فإن كان النصراني لا يدرك الفرق بين هاتين الشريعتين ولا بين الهيئتين فهو معذور ؛ لأنه قد فسد مزاج دماغه بروائح العذرات وغمى قلبه بملابسة القاذورات في المطاعم والمشروبات ، حتى إنهم يقولون : ليس ثمة نجاسة البتة !! ، وبمثل هذا وأقل منه تعذر الناس في فساد عقولهم .

وسادسها : إن هذه الشريعة أُمرت باستقبال أفضل الجهات وهو البيت الحرام لأنه أفضل من [بيت المقدس] لأمر منها :

١ — أنه أقدم بناء منه بأربعين سنة والتقدم دليل الفضل .

(١) الصافات : ١٦٥٠ ، ١٦٦ . (*) يعنى أمة محمد — ﷺ —

(٢) قرية صغيرة .

(**) الرزاز .

(***). السُّخنة والسُّخنة : الهيئة .

(٣) في طوائف الروم وغيرهم لا يستجون بالماء فيبول أحدهم ويتفوط ويقوم بأثر البول والغائط إلى صلته بتلك الرائحة الكريهة ، فيستقبل المشرق ويصَلب على وجهه ، ويُحدِّث من يديه بأنواع الحديث كذباً كان أو فجوراً أو غيبة أو سباً وشتماً ، ويجبره بسر الحمر ولحم الخنزير وما هالكل ذلك ولا يضر ذلك في الصلاة ولا يطلها — في زعمهم — ، وإن دعت الحاجة إلى البول في الصلاة بال وهو يصل صلته . [إغاثة اللفهان] ٢٨٥/٢ .

(٤) وهو بيت الله الحرام .

٢ — أن آدم. إنما تيب عليه عنده بعرفة .

٣ — ومنها أن جميع الأنبياء منذ آدم فمن دونه حجه بخلاف بيت المقدس ، وجميع الشرائع إنما أمرت بالتوجه في الصلاة إلى بيت المقدس .

وسابعها : أن الله — تعالى — جوز في شريعة موسى أن يتزوج الرجل من شاء من النساء ، فراعى مصلحة الرجال دون النساء ، فإنهن يتضررن بالغيرة والإهمال إذا كثرن ، وحجز في شريعة عيسى — عليه السلام — على ما زاد على المرأة الواحدة ، فراعى مصلحة النساء دون الرجال ، لأنهم يتضررون بالاقصصار على الواحدة فقد لا [تتلاءم معه] فيكون^(*) في حيز العدم ، وفي شريعتنا جمع بين مصالح الفريقين فجعل للرجل أربع نسوة^(١) . فلا ضرر عليه ، و [لا] يكثر ضرر المرأة بأكثر من ثلاث ، فكانت شريعتنا أم ، واليهود لا يزيدون على الأربع تشبهاً بالمسلمين .

وثامننا : إن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم في الصلاة في البيع ، وشريعتنا وردت بالصلاة في كل موضع طاهر في جميع أقطار الأرض^(٢) ، ومعلوم أن الصلاة فيها تعظيم لله — تعالى — ، وبها نكون أكثر من الأول^(٣) لأن الإنسان قد يتعذر عليه البيعة لكونه في البرية والسفر ، أو يتيسر له لكن تفر عزيمته قبل وصوله إليها فتكون الصلاة وتعظيم الله — تعالى — بها في غاية القلة ، وفي هذه الشريعة^(٤) جميع الأرض مسجد ، فيكون تعظيم الله — تعالى — وإجلاله في غاية الكثرة ، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب .

وتاسعها : أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد ، بل تقدم للنيران فتحرقها ،

(*) أي الزواج .

(١) قلت : ذلك مشروط بالعدل بينهن .

(٢) عن جابر — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — ﷺ — : أعطيت حمأ لم يعطهن أحد قبل : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأبما رجل من أمى أدركه الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبل ، وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة الحديث في صحيح البخارى كتاب التيمم [رقم ٣٣٥ باب ١] ، وكتاب الصلاة [رقم ٤٣٨ باب ٥٦] .

(٣) يعنى أننا نكثر تعظيم الله تبارك وتعالى أكثر من النصارى واليهود ، لكثرة مواضع السجود والصلاة على امتداد الأرض كلها دون تخصيصها بموضع معين .

(٤) يعنى الإسلام .

وأحلت الغنائم في هذه الشريعة^(١) ، ومعلوم بالضرورة أن صون المالمية عن الضياع والاستعانة على الدنيا والدين بها واقع في نظر الحكمة وأتم في مراعاة المصلحة ، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب .

وعاشرها : إنا لا نعلم في شريعة من الشرائع إعلاماً بالأوقات المعينات للصلوات بشيء يشتمل على مصلحة غير [الإسلام] ، فاليهود يعلمون بالبوق ، والنصارى بضرب خشبة على خشبة أو نوع آخر من الجمادات يسمونه الناقوس ، وغير هاتين الملتين تعلم بالنار^(٢) ، ومعلوم أن هذه الأمور لا تحصل لمصلحة الإعلام ، وشرع في هذه الشريعة وحدها الأذان فحصل الإعلام ، ومصلحة أفضل وهي الثناء على الملك العلام ، وتجديد كلمة الإيمان ، وتفخيم قدر رسول الملك الديان ، والحض على الصلاة وجميع سبل النجاة بقوله : « **حى على الصلاة حى على الفلاح** » ، و « **الفلاح** » : خير الدنيا والآخرة ، وكلمة : « **حى** » أمر وتخصيص على ما بعدها ، وفيه إيظاظ الغافلين وانتشار ذكر المذاكرين بالمجاوبة للمؤذنين^(٣) ، وفيه إعلان لشعار التوحيد وأنواع التعجيد ، الأصوات بين الأرض والسموات على أعلى البنائات ، وأين هذا من النفخ في البوقات وفراقع الخشبات ؟؟؟

(١) مرّ حديث : « أعطيت حياً لم يظهن أحد قبلى ، وفيه : « وأحلت لى الغنام ولم تحمل لأحد قبلى » (وقد تقدم ترجمته قريباً) .

(٢) قلت : انظر البخارى [حديث ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦] في كتاب الأذان باب ١ ، ٢ . [شرح ابن حجر المسقلاى ٩٢/٢ - ٩٩] .

(٣) انظر :

— البخارى كتاب الأذان [باب ٧ ، ٨] ، وكتاب التفسير ، سورة الإسراء ، [باب ١١] .

— مسلم كتاب الصلاة [حديث ١٠ ، ١٣] .

— سنن أبى داود كتاب الصلاة [باب ٣٦ - ٣٨] .

— الترمذى كتاب مواقيت الصلاة [باب ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣] .

— النسائى كتاب الأذان [باب ٣٣ - ٣٨] .

— ابن ماجه كتاب الأذان [باب ٤] .

— سنن الدارمى كتاب الصلاة [باب ٩ ، ١٠] .

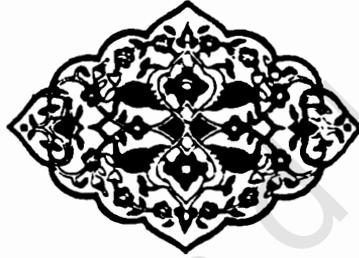
— موطأ الإمام مالك كتاب النداء للصلاة [حديث ٢] .

— المسند [١١٩/١ ، ١٨١ ، ١٦٨/٢ ، ١٧٢ ، ٣٥٢ ، ٥/٣ ، ٥٣ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٣٣٧ ، ٣٥٤] ،

٤٣٨ ، ٩١/٤ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ٩/٦ ، ١٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٩١ ، ٤٢٥] .

— مسند الطيالسى [حديث ٢٢١٤] .

ومعلوم أن هذه مصالح جليلة ومناقب فضيلة لم تقرر إلا في هذه الشريعة المحمدية ،
وهذه الأمة الطاهرة الزكية ، وذلك مما يوجب شرفها على غيرها وهو المطلوب .
ولنقتصر على هذه النبذة في هذا المختصر اللطيف ، وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى
عدها ، ولا يحبو زندها^(*) ، وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها .



(*) الرُّند : عود يُقدح به النار .